رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أربعون حديثًا

في

# التهجد وقيام الليل

مع شرحها وتخريجها من المصادر الأصلية

تأليف
الدكتور محمد بن عزوز

دار البشائر الإسلامية

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

# أربعون حديثًا في التهجد وقيام الليل

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م

دار البشائر الإسلامية

للطباعة والنشر والتوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٧٠٤٩٦٣/٠٠٩٦١١

e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb

بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

# أربعون حديثًا
# في
# التهجد وقيام الليل

مع شرحها وتخريجها من المصادر الأصلية

تأليف
الدكتور محمد بن عزوز

دار البشائر الإسلامية

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

# المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا ونبيّنا محمَّد الهادي الأَمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعد، فإنَّ إنسان اليوم في حياته الفردية والاجتماعية وكذلك في حياته النفسية يفتقد عناصر شتَّى، أهمّها الشعور بالأمان والطمأنينة، فإذا افتقدها فمجمل كرامته الإنسانية، بما فيها أحاسيسه ومشاعره تتبلَّد؛ ذلك لأنَّ ممَّا يميِّز الإنسان عن سائر المخلوقات هي جوانبه اللطيفة وأحاسيسه المرهفة.

ويمكن أن نسأل أنفسنا السؤال التالي: أنَّى يتأتَّى ذلك؟

ولعلَّ قصارى الجواب يكمن في حقيقة تكاد تكون بديهية، ألا وهي تزكية النفس. ولا سبيل إلى تزكيتها وتطهيرها إلاَّ بالتقرُّب إلى الله تعالى بخالص الأعمال وصالح الطاعات، وأجلُّها وأشرفُها: التهجُّد بالليل.

وإن في الليل للحظات يشعر فيها الإنسان المؤمن بالأمان والاطمئنان وانشراح الصدر، فيطمئن قلبه بذكر خالقه،

كالتسبيح والتهليل والاستغفار، فقلبه يطيب ويركن إلى ذكر الله، فتطمئن نفسه بإحساسها بالصِّلة بالله، والأنس بجواره، والأَمن في جانبه وحماه، وتطمئن من قلق الوحدة وحيرة الطريق، وتطمئن بالشعور من كل اعتداء ومن كل ضرّ ومن كل شرّ إلاَّ بما يشاء مع الرضا بالابتلاء، وتطمئن برحمته في الهداية.

إنَّ هذا الاطمئنان بذكر الله يشعر به المتهجِّد بالليل حقيقة عميقة يعرفها الذي خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم فاتَّصلت بالله، يعرفونها ولا يملكون بالكلمات أن ينقلوها إلى الآخرين الَّذين لم يعرفوها لأنها لم تنقل بالكلمات، إنما تسري في القلب فيستروحها ويهش لها ويستريح إليها ويستشعر الطمأنينة والسلام ويحسّ أنه ليس مفردًا بلا أنيس، فكل ما حوله صديق إذ كل ما حوله من صنع الله الذي هو في حماه.

وليس أشقى على وجه هذه الأرض ممَّن يُحْرَمون طمأنينة الأنس بالله، ليس أشقى ممَّن ينطلق في هذه الأرض مبتوت الصِّلة بما هو حوله في الكون، لأنه انفصم من العروة الوثقى التي تربطه بما حوله في الله خالق الكون.

فالتهجُّد بالليل يضفي على النفس توازنها وعلى السلوك اتِّزانه، فهناك في علم النفس وأدبيَّاته مما يطلق عليها: (النفس الخاوية Void Self)، والنفس الخاوية يحسّ صاحبها بأنه أشبه بجذع نخلة يابس منقعر، فيحس الخواء في داخله ويشعر

بالخوف داخليًا وممَّا حوله[1].

فما هو الأساس النفسي لهذا الفراغ الروحي؟

هذا الخواء الذي يُبتلى به المرء هو نتيجة لاعتقاد ذلك المرء بأنه لم يعد قادرًا على أن يعمل وينشط، فلا يعود قادرًا على الإحساس ولا يستطيع التفاعل في الحياة؛ فيفقد إحساسه بذاته، كل ذلك بسبب ما فيه من فراغ روحي، فيصبح مريضًا نفسيًا وأخلاقيًا واجتماعيًا.

أما الإنسان المؤمن الذي ذاق نشوة الإقبال إلى الله فإنه ينجذب إلى أعلى درجات الأنس به، وينتقل إلى أصفى مشاعر الحب له، فلا يشعر بهذا الفراغ الرُّوحي.

فقد جاء في الأحاديث الصحيحة أنَّ المتهجد بالليل يشعر بالفرح والسرور وطيب النفس.

فعن أبـي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على مكان كل عقدة، عليك نوم طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلَّى انحلت عقدة، فأصبح نشيطًا طيِّب النَّفْسِ وإلاَّ أصبح خبيث النفس كسلان»[2].

---

(١) Zmbard, GP, and Ruch: Essentials of Psychology and Life. 10th - Illinois. U.S.A. .

(٢) سيأتي تخريجه في الحديث العاشر ص ٨١.

قال الإمام النووي في قوله ﷺ: «أصبح نشيطًا طيِّب النَّفْسِ»: معناه لسروره بما وفَّقه الله الكريم له من الطاعة ووعده من ثوابه، مع ما يبارك له في نفسه وفي تصرُّفه في كل أموره، مع ما زال عنه من عقد الشيطان وتثبيطه[1].

وقال الحافظ ابن حجر: (والذي يظهر أن في صلاة الليل سرًّا في طيِّب النَّفْسِ وإن لم يستحضر المصلي شيئًا من ذلك)[2].

وهذا هو الحق، ولا يشعر بذلك إلاَّ من ذاق حلاوة قيام الليل وآنس قرب الليل في هذه اللحظات الطيِّبات، فإن ذلك يترك حلاوة في القلب لو خُيِّر العبد بينها وبين ملك الدنيا لاختارها.

والذي يفوته الصلاة بالليل يشعر بالخيبة، وهي إحساس بالإحباط الذي يرين على النفس حين تجترح الذنوب، وفي هذا المعنى يقول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (حسب الرجل من الخيبة والشرّ أن ينام حتى يصبح).

فإنَّ مقترف الذنوب لا يوفَّق لقيام الليل، ومَن أحسن في نهاره وُفِّق في ليله. قال رجل للحسن البصري: (يا أبا سعيد، إنِّي أبيت معافى، وأحب قيام الليل وأعدُّ طهوري، فما بالي لا أقوم؟ فقال الحسن البصري: قيَّدتك ذنوبك).

---

(١) شرح صحيح مسلم ٦/ ٦٦.

(٢) فتح الباري ٣/ ٢٦.

لذلك فقد نجح في امتحان الدنيا من طهَّر نفسه من الذنوب، فالخالق سبحانه وتعالى إنما يريد بعبده خيرًا، يريد له النجاح والفلاح والتخلُّص من ربقة الذنوب التي تُعَدُّ من أخطر الأمراض النفسية. لقد ثبت في الدراسات النفسية المعاصرة بما لا يدع مجالاً للشكّ، أنه عندما تمرض النفس يمرض الجسم والعكس صحيح أيضًا[1].

ويؤكِّد علم النفس اليوم على أنَّ الإنسان حين يخسر نفسه بالأمراض النفسية يكون قد خسر شيئًا في دنياه، فالنَّفس كالمرآة الصَّافية، فإذا انشرخت تكون قد تشوَّهت، وذلك بكثرة المعاصي والذُّنوب.

وخالق النفس سبحانه ألطف بها من صاحبها، لذا أخذ تعالى بتنبيه الإنسان بدأب كيف يكون حذرًا من السقوط في الضلالات المهلكة، وجعل له سبيلاً للتخلُّص من هذه الآثام، كما هيَّأ له أوقاتًا يغتنمها لتطهير ذنوبه بالاستغفار، قال الله تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾[2].

وفي هذا يروي أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين

---

(١) هذا ما أصبح يطلق عليه في العصر الحديث: الأمراض السيكوسوماتية، أي الأمراض النفسية الجسمية (Psychosomatic).

(٢) سورة الذاريات: الآية ١٨.

قبلكم، وهو قربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم»[1].

كما أنَّ التهجُّد بالليل يمنع من هجوم القلق والاضطراب على القلوب فلا يصل إليها.

فالآلام النفسية تقض مضجع صاحبها، فمن إحساس بالندم وشعور بالذنب، ومن أوهام تنيخ على الفرد بثقلها، لذلك فإنَّ الإنسان يحتاج واقياتٍ تقيه شرّ مثل هذه المتاعب والأوصاب. ولا واقياتٌ أفضل من أن يخلو الإنسان المؤمن بربّه في ظلمات الليل، يتملَّقه ويتقرَّب إليه ويصفُّ قدميه في طاعته، ويرتمي ساجدًا على أعتابه، فإنَّ الله تعالى لا يردّه بل يقبله ويرفعه درجات ويقوِّي إيمانه.

وهكذا تتحرَّر خواطره من ثقل الهموم والغموم وتزول آثار الكمد عن القلب والضمير.

وإنَّ هناك للحظات في الحياة لا يصمد لها بشر إلاَّ أن يكون مرتكنًا إلى الله، مطمئنًّا إلى حماه مهما أُوتي من القوَّة والثَّبات والصَّلابة والاعتداد.

كما أنَّ الحياة بنواميسها المخلوقة وبقوانينها الموضوعة لا ترحم الإنسان، بل لعلَّها تقصمه بدواهيها مثلما تقصف الريح العاتية الأغصان الغضَّة، ولا يصمد لها إلاَّ المطمئنُّون بالله الذين

---

(١) سيأتي تخريجه والتعليق عليه.

يداومون على ذكره، ويناجونه في ظلمات اللَّيل، ويطلبون جنَّته، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه، ويستعيذون من ناره، وقد قيل فيهم: (جنـدالله)، وهم الجيش المعنوي الذين بدعواتهم ينصرنا الله على الأعداء.

وقد روى ابن الأثير عزّ الدِّين محمد بن عبد الكريم: أنَّ الملك العادل نور الدِّين زنكي، كان إذا دخل أحد من الفقهاء أو الفقراء قام له ومشى خطوات وأجلسه معه على سجّادته في وقار وسكون وأقبل عليه بحديثه كأنه أقرب الناس إليه، وإذا أعطى أحدًا منهم شيئًا كثيرًا يقول: هؤلاء جند الله، وبدعائهم نُنصر على الأعداء، ولهم في بيت المال حق أضعاف ما أعطيهم[1].

فليس بمستغرب إذن أن يغدو هؤلاء جيشه المعنوي المعبَّأ الذي يضرب بسهام لا تخطىء.

قال له أصحابه يومًا وقد رأوا ما تستنزفه مصارف الجهاد من أموال الدولة: إنَّ لك في البلاد إدرارات كثيرة وصِلات عظيمة للفقهاء والفقراء والصوفية والقرَّاء، فلو استعنت بها الآن لكان أمثل.

فأجابهم غاضبًا: والله إنِّي لا أرجو النصر إلاَّ بأولئك، فإنَّما ترزقون وتنصرون بضعفائكم، كيف أقطع صِلات قوم يقاتلون عنِّي وأنا نائم في فراشي بسهام لا تخطىء، وأصرفها إلى من لا يقاتل

---

(١) ابن الأثير: التاريخ الباهر ١٧٢.

عنِّي إلاَّ إذا رآني بسهام قد تخطىء وقد تصيب؟ ثمَّ إنَّ هؤلاء القوم لهم نصيب في بيت المال أصرفه إليهم فكيف أعطيه لغيرهم[1].

ولقد امتدَّت تقوى هذا الملك إلى زوجته وأهله، روى الحافظ ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية»[2]: كانت زوجة نور الدِّين (عصمت الدِّين خاتون، ابنة الأتابك[3] معين الدِّين، حاكم دمشق) تُكثِر القيام في الليل، ونامت ليلة عن وردها فأصبحت وهي غضبى، فسألها نور الدِّين عن أمرها فذكرت نومها الذي فوت عليها وردها، فأمر نور الدِّين عند ذلك بضرب الطبول في القلعة وقت السحر لتوقظ النائمين حينذاك لقيام الليل ومنح الضاربين أجرًا جزيلاً.

---

(١) ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب ٢/ ٣١٤، وهناك قصة تشبهها ــ ذكرها أبو بكر الطرطوشي في كتابه «سراج الملوك» ــ دارت بين نظام الملك السلجوقي ووزيره، وكان يسمِّيهم بـ (جيش الليل)، وقد نقل هذه القصة الدكتور محمد عوَّامة في كتابه (المختار من فرائد النقول) الذي طبعته دار البشائر الإسلامية.

(٢) ١٢/ ٢٧٩.

(٣) الأتابك كلمة تتألف من لفظين تركيين هما (أتا) بمعنى أب، و (بك) بمعنى أمير، أي الأمير الوالد. (وفيات الأعيان ١/ ٣١٦).
يقول النعيمي في الدارس ١/ ٥٠٨ متحدِّثًا عن زوجة الملك نور الدِّين: «وصفها المؤرخون بأنها كانت من أحسن النساء وأعفّهن وأكثرهن خدمة، متمسكة من الدِّين بالعروة الوثقى، وكانت لها أوقاف وصدقات كثيرة وبرّ عظيم».

كما أنَّ قيام الليل يمنح الإنسان فرصة للتدبُّر في أمره ليعرف قدره في هذا الكون الذي يعيش على شواطئه. وإذا أدرك الإنسان حقيقة عظمة هذا الكون، فإنه عندئذٍ يتأمَّل نفسه فيدرك عظمة خالقها[1].

وكلَّما تعمَّق الإنسان في عظمة هذا الملكوت ازداد اندهاشًا في وحدانية الخالق الذي خلق نفس الإنسان فسوَّاها، ولذلك كان رسول الله ﷺ عندما يقوم لتهجُّده ينظر إلى السماء ويقرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران.

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (بت عند خالتي ميمونة، فتحدَّث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾، ثم قام فتوضأ واستن، فصلى

---

(١) يقول الدكتور كارل ساغان (Dr. Carl Sagon) في كتابه:

- Pale Blue Dot: A Vision of the Human Future in Space. Headline Book Publishing, London, 1995 - p 211.

وهو يتحدَّث عن الكون: «الكون هو كل ما هو موجود وما وجد وما سيوجد، وإنَّ أبسط تأمُّل لنا في الكون يُحَرِّك مشاعرنا فتمرّ قشعريرة في العمود الفقري، ويخفت الصوت ويسيطر إحساس بالدوار كما في تذكُّر الأشياء البعيدة، أو السقوط من ارتفاع ما، فنحن نعلم أننا نقترب من أعظم الأسرار».

إحدى عشرة ركعة، ثم أذَّن بلال، فصلَّى ركعتين، ثم خرج فصلَّى الصبح).

يقول الإمام القرطبي: (ختم تعالى هذه السورة بالأمر بالنظر والاستدلال في آياته، إذ لا تصدر إلَّا عن حي قيُّوم قدير قدُّوس سلام غنيٍّ عن العالمين، حتى يكون إيمانهم مستندًا إلى اليقين لا إلى التقليد).

ورُوي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لمَّا نزلت هذه الآية على النبي ﷺ قام يصلِّي، فأتاه بلال يؤْذِنُهُ بالصلاة، فرآه يبكي، فقال: يا رسول الله، أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟! فقال: «يا بلال، أفلا أكون عبدًا شكورًا، ولقد أنزل الله عليَّ الليلة آية: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ . . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾»، ثم قال: «ويل لمن قرأها ولم يتفكَّر فيها»[1].

كما كان رسول الله ﷺ إذا قام للتهجُّد يقول: «اللَّهُمَّ لك الحمد أنت قيِّم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللَّهُمَّ لك أسلمت وبك آمنت وعليك

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٣١٠.

توكلت وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر لا إله إلاَّ أنت»[1].

يقول الحافظ ابن حجر: وفيه معرفة النبي ﷺ بعظمة ربه وعظيم قدرته، ومواظبته على الذكر والدعاء والثناء على ربّه والاعتراف له بحقوقه والإقرار بصدق وعده ووعيده[2].

كما أنَّ الفتوحات الربَّانية والتوفيقات الإلهية والإلهامات الجليَّة تتم بفضل قيام الليل، وكم عالم استغلق على فهمه مسألة فقام يناجي ربه في جوف الليل ففتح الله عليه، ولهذا عدَّه رسول الله ﷺ من أفضل العبادات، فقال ﷺ: «إنَّ أفضل الصلاة بعد الفريضة الصلاة في جوف الليل»[3].

وبالرغم من المزايا العظيمة التي يتميَّز بها هذا الموضوع لم أجد مَن قام بجمع أربعين حديثًا في التهجُّد من الأئمة الحفَّاظ المتقدِّمين على كثرة مؤلَّفاتهم في الأربعينات، وذلك من خلال تتبُّعي لكتب الفهارس والأثبات.

فاستخرتُ الله تعالى وحمدته على توفيقه وشرعت في جمع أربعين حديثًا في التهجُّد رجاء الدخول في دعاء رسول الله ﷺ: «نضَّر الله امرءًا سمع مقالتي، فحفظها ووعاها

---

(١) سيأتي تخريجه في الحديث الثالث ص ٥٦.

(٢) فتح الباري ٣/ ٨.

(٣) سيأتي تخريجه في الحديث العشرين ص ١٣١.

وأدّاها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»، واقتداءً بالسَّلف الصالح جزاهم الله خيرًا في جمع الأحاديث النبوية في جزء يسهل حفظه وفهمه، وقد جعلته في مقدمة وثلاثة فصول:

ـ **الفصل الأول**: نظرة عامة في كتب الأربعين حديثًا.

ـ **الفصل الثاني**: دراسة موجزة عن التهجُّد والمؤلَّفات فيه.

ـ **الفصل الثالث**: ذكر الأربعين حديثًا في التهجُّد، مع تخريج هذه الأحاديث من مظانها الحديثية الأصيلة، مع الاختصار في شرحها.

هذا وقد التزمتُ في هذه الأحاديث أن لا أذكر حديثًا موضوعًا، فكل ما فيها مقبول عند العلماء بهذا الشأن.

وأرجو من الله تعالى أن يمنحني الإخلاص والسداد في القول والعمل، والتوفيق والإمداد في خدمة السُّنَّة النبويَّة الشَّريفة وعلوم السَّلف، وهو الكريم الوهَّاب، الغفور التوَّاب.

والحمد للَّه ربّ العالمين، وصلَّى الله على سيِّدنا ونبيّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

في مدينة سلا
٢٢ من شعبان سنة ١٤٢١هـ

وكتبه
الفقير إلى الله تعالى
**محمد بن عزوز**

## الفصل الأول
# نظرة عامة في كتب الأربعين حديثًا

## تمهيد

جمع الأئمة المحدِّثون جموعًا من الأحاديث النبوية ووضعوا فيها وفيما يتعلَّق بها الدواوين الكثيرة والمؤلَّفات الصغيرة والكبيرة، وهي من كثرتها لا تُعَدّ ولا تُحصى.

وتفنَّنوا فيها تفنُّنًا لا يُرى مثله، فألَّفوا فيها الجوامع، والمسانيد، والسنن، والمستخرجات، والمستدركات، والأجزاء، والمعاجم وغيرها، فضلاً عمَّا صنَّفوا في علوم الحديث درايةً من المصنَّفات وفي الضعفاء والثقات، وفي طبقات الرواة والمشيخات وغيرها، كما صنَّفوا في كل نوع من أنواع علوم الحديث تصانيف مفردة.

ومن تفنُّنهم أنَّهم وضعوا كتب الأربعين في موضوعات مختلفة، حيث جمعوا أربعين حديثًا في مؤلَّف واحد، وكان ذلك في الغالب حول موضوع واحد.

فكتاب **الأربعين**: هو ما اشتمل على أربعين حديثًا؛ سواء كان ذلك على وصف مشترك أم لا.

## أسباب تأليف الأربعينات:

جمع الأئمة المحدِّثون (الأربعينات) من الحديث في تأليفات مستقلَّة لأسباب شتى، منها:

١ ــ رجاء الدخول فيمن بشَّرهم رسول الله ﷺ بأوصاف حميدة في الحديث: «من حفظ على أمتي أربعين حديثًا من سنَّتي أدخلته يوم القيامة في شفاعتي».

ــ وفي رواية: «من حفظ على أمتي أربعين حديثًا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء».

ــ وفي رواية: «بعثه الله فقيهًا عالمًا»[1].

ــ وفي رواية أبي الدرداء: «... كنت له يوم القيامة شافعًا وشهيدًا».

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٤٣، والمطالب العالية ٣٠٧٦، والتلخيص الحبير ٣/ ٩٣، وتنزيه الشريعة ١/ ٣٣، والمشكاة ص ٢٥٨، والعلل المتناهية ١/ ١١٩ ــ ١٢٩.
قال الحافظ ابن حجر في التلخيص: (أخرجه الحسن بن سفيان في مسنده وفي أربعينه من حديث ابن عباس، وروي من رواية ثلاثة عشر من الصحابة، أخرجها ابن الجوزي في العلل المتناهية وبيَّن ضعفها كلها.
وأفرد ابن المنذر الكلام عليه في جزء مفرد، وقد لخصت القول فيه في المجلس السادس عشر من الإملاء، ثم جمعت طرقه في جزء ليس فيها طريق تسلم من علَّة قادحة).

ـ وفي رواية ابن مسعود: «. . . قيل ادخل من أي أبواب الجنة شئت».

ـ وفي رواية ابن عمر: «. . . كتب في زمرة العلماء وحشر في زمرة الشهداء».

والحديث ورد من طرق كثيرة ليس فيها طريق تسلم من علَّة قادحة، واتَّفق الحفَّاظ على أنه حديث ضعيف.

وقد تتبَّع الحافظ السيوطي طرقه وألَّف فيه جزءًا خاصًّا سمَّاه: (جزء في طرق حديث: «من حفظ على أمتي أربعين حديثًا» )[1].

٢ ـ **ومنها**: دعاء رسول الله ﷺ لمن سمع حديثه، فوعاه كما سمعه، وأدَّاه كذلك، حيث قال: «نضَّر الله امرءًا سمع مقالتي، فحفظها ووعاها وأدّاها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[2].

٣ ـ **ومنها**: اتِّباع طريقة السلف في جمع الأحاديث النبوية في جزء.

---

(١) الحافظ جلال الدِّين السيوطي وجهوده في الحديث، للدكتور بديع السيد اللحام ص ٢٥٠.

(٢) حديث صحيح متواتر، رواه عن النبي ﷺ أربعة وعشرون صحابيًّا، منهم: زيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأبو الدرداء، وأنس بن مالك، وغيرهم.

٤ ــ ومنها: استجابة لطلب الراغبين في جمع الأحاديث في موضوع معين، وتسهيل حفظ الحديث الشريف وفهمه.

٥ ــ ومنها: التنويه بعدد (الأربعين) في الكتاب والسُّنَّة، كما أشار إليه الشيخ علي القاري في مستهل كتابه «المبين المعين لفهم الأربعين»[1]، فقال: (الحمد لله الذي جعل للأعداد والأوقات اعتبارًا للأنام، فخلق السموات والأرض في ستة أيام، وخمَّر طينة آدم عليه السلام بيديه أربعين صباحًا في مقام الإكرام، وجعل أطوار خِلقة أفراد بني آدم أربعين نطفة، ثم أربعين علقة، ثم أربعين مضغة، إلى أن كسي اللحم فوق العظام، وواعد موسى عليه السلام أربعين ليلة لميقات الكلام، وبعث نبيّنا ﷺ بعد تكميل أربعين سنة على سنن أكثر الأنبياء الكرام».

## أشهر كتب الأربعين حديثا

### (من القرن الثاني إلى القرن الثالث عشر الهجري)

لقد صنَّف الأئمة الحفَّاظ في هذا الباب ما لا يُحصى من المصنَّفات، بل إنَّ أحدهم كانت تزيد مؤلَّفاته عن مئة مصنَّف في الأربعينات، فقد جاء في صلة الروداني أنَّ الإمام العلاَّمة المحدِّث مسند الشام ومفخرته محمد بن علي بن أحمد،

---

(١) ص ٢.

المدعو بابن طولون الصالحي الدمشقي (ت ٩٥٣هـ)، صنَّف أربعينات تزيد على ثلاثمئة وستين.

وسأذكر نماذج من أشهر هذه الأربعينات في الحديث مراعيًا ترتيبهم حسب المواضيع مع ترتيب وفيات المصنِّفين:

**أولاً: كتب الأربعين حديثًا في مواضيع مختلفة:**

١ ــ كتاب «الأربعين»، للإمام عبد الله بن المبارك الحنظلي المروزي (ت ١٨١هـ)، قال النووي: (فأوَّل من عَلِمْته صنَّف فيه عبد الله بن المبارك).

٢ ــ كتاب «الأربعين»، للحافظ أبي الحسن محمد بن أسلم الطوسي (ت ٢٤٢هـ)، وهو ثاني الأربعينات في الحديث النبوي، وقد حقَّقه مشعل بن باني والجبر بن المطيري ــ طبع بدار ابن حزم ١٤٢١هـ.

٣ ــ كتاب «الأربعين»، للحافظ الحسن بن سفيان بن عامر الشيباني النسوي (ت ٣٠٣هـ)، حقَّقه الشيخ محمد بن ناصر العجمي ونشرته دار البشائر الإسلامية.

٤ ــ كتاب «الأربعين حديثًا»، للإمام أبي بكر الآجري محمد بن الحسين (ت ٣٦٠هـ)، اعتنى به علي حسن علي عبد الحميد، وطبع بالمكتب الإسلامي ١٤٠٩هـ.

٥ ــ كتاب «الأربعين»، للإمام أبي الحسن الدارقطني

علي بن عمر (ت ٣٨٥هـ)، ذكره جعفر الكتاني في الرسالة المستطرفة.

٦ ــ كتاب «الأربعين»، للإمام أبي عبد الله الحاكم، محمد بن عبد الله الضبي النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون.

٧ ــ كتاب «الأربعين»، للإمام أبي نعيم الأصفهاني أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٣٠هـ)، ذكره جعفر الكتاني في الرسالة المستطرفة.

٨ ــ كتاب «الأربعين»، للإمام أبي بكر البيهقي أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ)، ذكره صاحب الرسالة المستطرفة.

٩ ــ كتاب «الأربعين»، للإمام أبي إسماعيل شيخ الإسلام الهروي عبد الله بن محمد الأنصاري (ت ٤٨١هـ)، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون.

١٠ ــ كتاب «الأربعين»، للحافظ القاسم بن الفضل الثقفي الأصبهاني (ت ٤٨٩هـ)، حقَّقه مشعل بن باني، والجبر بن المطيري ــ طبع بدار ابن حزم ١٤١٢هـ.

١١ ــ «أربعون حديثًا متنوعة بالأربعينات»، للحافظ ابن الأبَّار البلنسي (ت ٦٥٨هـ)، ذكره صاحب الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٣.

١٢ ــ كتاب «الأربعين»، للإمام الحافظ أبي زكرياء محيي الدِّين النووي (ت ٦٧٦هـ).

وقد حظي هذا الكتاب من العلماء بالقَبول والتقدير، واهتمّوا به اهتمامًا بالغًا، حتَّى إنَّهم عدّوه من مبادىء الكتب ومن أول المقررات لطلبة العلوم الشرعية فهمًا وحفظًا وشرحًا.

واعتنوا بشرحه لما فيه من المهمات والفوائد، ومن الجوامع والفرائد، ولما اشتمل على قواعد عظيمة عليها مدار الإسلام، ولحسن نية جامعها وإخلاصه لله عزَّ وجلّ[1].

---

(١) شرح الأربعين النووية جمع كثير من العلماء، وإليك جملة منهم:

١ ــ الإمام أبو العباس الإشبيلي، أحمد بن فرج (ت ٦٩٩هـ).

٢ ــ الإمام ابن دقيق العيد، محمد بن علي بن وهب (ت ٧٠٢هـ)، وقد طبع شرحه عدَّة مرَّات.

٣ ــ الإمام نجم الدِّين الطوفي، سليمان بن عبد القوي الحنبلي (ت ٧١٠هـ).

٤ ــ الإمام تاج الدِّين الفاكهي عمر بن علي (ت ٧٣١هـ).

٥ ــ الإمام زين الدِّين الملطي، سريجا بن محمد (ت ٧٨٨هـ).

٦ ــ العلامَّة سعد الدِّين التفتازاني سعد بن عمر (ت ٧٩١هـ)، طبع في المطبعة العامرة ١٩٢٦.

٧ ــ الحافظ ابن رجب الحنبلي، زين الدِّين عبد الرحمن بن أحمد البغدادي (ت ٧٩٥هـ) في كتابه «جامع العلوم والحكم»، وهو أجمع هذه الشروح وأحفلها بالفوائد. =

١٣ ــ «أربعون حديثًا»، للحافظ عبد المهيمن الحضرمي (ت ٧٤٧هـ)، قال عنه اللؤلؤي في تاريخه: (كان إمامًا في الحديث وحجَّة في حفظه ورجاله، له أربعينات في الحديث).

١٤ ــ كتاب «الأربعين الصحيحة»، للحافظ يوسف السرمري (ت ٧٧٦هـ) نزيل دمشق، انظر: ذيل طبقات الحفَّاظ ص ١٦٠.

١٥ ــ «الأربعون حديثًا في الأُصول والفروع»، للعلاَّمة ابن عجيبة (ت ١٢٢٦هـ)، ذكرها صاحب اليواقيت الثمينة ص ٧٠.

---

= ٨ ــ العلاَّمة جمال الدِّين التبريزي، يوسف بن الحسن (ت ٨٠٣هـ).

٩ ــ الحافظ ابن الملقن الأندلسي سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري (ت ٨٠٤هـ).

١٠ ــ العلاَّمة معين الدِّين بن صفي الدِّين عبد الرحمن (ت ٩٠٥هـ).

١١ ــ الحافظ جلال الدِّين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ).

١٢ ــ العلاَّمة مصلح الدِّين محمد السعدي العبادي (ت ٩٧٩هـ).

١٣ ــ العلامة ابن حجر الهيثمي (ت ٩٧٣هـ)، سمَّاه: «الفتح المبين»، وهو مطبوع.

١٤ ــ العلاَّمة الشيخ علي بن سلطان محمد الهروي المكي (ت ١٠١٤هـ)، سمَّاه: «المبين المعين لفهم الأربعين».

١٦ ــ «أربعون حديثًا»، للحافظ محمد بن خليل القاوقجي الطرابلسي الشامي (ت ١٣٠٥هـ). ذكرها عبد الحيّ الكتاني في «فهرس الفهارس» وقال: (. . . وهو مسند بلاد الشام في أوائل هذا القرن، وعلى أسانيده اليوم المدار في غالب بلاد مصر والشام والحجاز) ٢/ ١٠٥.

١٧ ــ «النفحات المحمَّديَّة في الأحاديث الأربعين الأحمديَّة»، للعلَّامة أبي الهدى الرفاعي الحلبي (ت ١٣٢٧هـ)، ذكرها الكتاني في «فهرس الفهارس» ١/ ١٦٣.

١٨ ــ كتاب «الأربعين من أحاديث سيِّد المرسلين»، للعلَّامة يوسف النبهاني، ذكر هذا الكتاب الكتاني في فهرس الفهارس ٢/ ١٤٠.

## ثانيًا: كتب الأربعين حديثًا في الأسانيد والمسلسلات والعوالي[1]:

### (أ) كتب الأربعين المتعلقة بالأسانيد:

١٩ ــ «الأربعون السباعية»، للحافظ أبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي البلنسي (ت ٦٣٤هـ)، وهو آخر حفَّاظ الأندلس والبلغاء المترسلين.

---

(١) ذكر هذه الأربعينات العلَّامة عبد الحي الكتاني في: فهرس الفهارس ٣/ ٢٤٦ ــ ٢٤٨.

٢٠ ـ «الأربعون السباعية»، للحافظ عبد الرحمن ابن محمد الدباغ القيرواني (ت ٦٩٩هـ)[١].

٢١ ـ كتاب «الأربعين الأبدال التساعيات للبخاري ومسلم»، للحافظ أمير المؤمنين في الحديث عبد المؤمن ابن خلف الدمياطي (ت ٧٠٦هـ).

ومنه الآن نسخة موجودة بالمكتبة الخالدية ببيت المقدس قُرِئت عليه سنة ٦٨٨هـ.

٢٢ ـ «الأربعون تساعية»، للميدومي، تخريج الحافظ العراقي عبد الرحيم بن الحسين (ت ٨٠٦هـ).

٢٣ ـ «أربعون عشارية»، للحافظ العراقي (ت ٨٠٦هـ).

٢٤ ـ «الإمتاع بالأربعين المتباينة بشرط السماع»، للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، رواها الحافظ عبد الحي الكتاني بسنده إلى الحافظ ابن حجر وجاء في صدرها: (أما بعد، فقد عزمت على إملاء أربعين حديثًا من مروياتي العاليات أقتصر فيها على أعلى أنواع التحمُّل، وهو السماع دون الإجازات والمناولات، وأن أكرر شيئًا من رجال أسانيدها؛ لتبرز متونها ببينات، وأسانيدها متباينات، فابتدأت بالحديث المسلسل بالأولية، بأحاديث العشرة الزكية،

---

(١) رحلة العبدري ص ٦٦، تحقيق الأستاذ محمد الفاسي.

ثم سردت من أسماء الصحابة على حروف المعجم الثمانية والعشرين، وأضفت إلى ذلك حديثين عن ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وابن عمرو بن العاص لتكمل فيها أحاديث العبادلة المشهورين، ووقع هنا حديث ابن الزبير مع أبيه، ثم ختمتُ بحديثين عن عائشة أم المؤمنين ليتمَّ فيها أحاديث الصحابة المكثرين، والمكثرون من الصحابة ستة: أبو هريرة وحديثه مع حديث أبـي بكر، وجابر وأنس وحديثهما في حرف الألف والجيم، وابن عباس وعمر وعائشة وأحاديثهم في آخر الكتاب، وآخر مشتهر بكنيته مختلف في اسمه، وآخر غير مشتهر بكنيته واسمه معًا، وآخر غير مشتهر بكنيته مختلف في اسمه يشتمل على الكنى والألقاب، فيكثر الاعتناء بها والاغتناء. وختمت بحديث أبـي الدرداء وأناشيد، وتكلَّمت عقب كل حديث على شرح حاله، من عدل أو جرح من رجاله، فأوضحت ما فيها من العلل وقوَّمت ما وقع فيها من الخلل)[1].

٢٥ ـ «الأربعـون المتبـاينـة»، للحـافـظ جـلال الـديـن السيوطي (ت ٩١١هـ).

٢٦ ـ كتاب «الأربعين العشاريات»، للعلاَّمة برهان الدين القلقشندي (ت ٩٢٢هـ)، حملها عنه سقين العاصمي محدِّث فاس والمغرب في وقته[2].

---

(١) فهرس الفهارس ١/ ١٩٠.

(٢) الشذرات ٢/ ٩٦٤.

٢٧ ــ «الأربعون بسند واحد متَّصل بالسماع»، مع تعقب كل حديث بتخريجه، للحافظ ابن طولون (ت ٩٥٣هـ).

٢٨ ــ «الأربعون الأحد عشرية الإسناد»، للحافظ ابن طولون (ت ٩٥٣هـ).

٢٩ ــ «الأربعون الاثنى عشرية الإسناد بالسماع المتَّصل»، مع الكلام على أحاديثهما»، للحافظ ابن طولون (ت ٩٥٣هـ).

(ب) كتب الأربعين العوالي:

٣٠ ــ «الأربعون من الأبدال العوالي»، للحافظ ابن طولون (ت ٩٥٣هـ).

٣١ ــ «الأربعون من الموافقات العوالي»، للحافظ ابن طولون (ت ٩٥٣هـ).

(ج) كتب الأربعين المسلسلات:

٣٢ ــ «الأربعون المسلسلات»، للحافظ ابن طولون (ت ٩٥٣هـ).

٣٣ ــ «سند الأربعين الإبريزية المسلسلة بالأشراف»، للعلَّامة قطب الدِّين النهروالي (ت ٩٩٠هـ).

**ثالثًا: كتب الأربعين حديثًا عن أربعين صحابيًّا أو شيخًا أو مصنفًا:**

يُعَدّ الحافظ ابن طولون من المكثرين في هذا التصنيف، وأهمّ أربعيناته في هذا الفن أربعة تصانيف:

٣٤ ــ «الأربعون حديثًا عن أربعين صحابيًّا، كل حديث منها منتقى من أربعين».

٣٥ ــ «الأربعون الملتقطة من أربعين مشيخة».

٣٦ ــ «الأربعون المخرَّجة من مصنَّفات أربعين».

٣٧ ــ «الأربعون عن أربعين شيخًا من مشايخ مشايخهم مفتتحة بتراجمهم مشتملة على أربعين بابًا في الفقه في الدِّين لأربعين صحابيًّا».

٣٨ ــ كتاب «الأربعين الزاهرة في الأحاديث النبوية الفاخرة عن أربعين شيخًا في أربعين بابًا من أبواب العلم، مخرَّجة عن أربعين مصنّفًا من مرويات أبي الحسن علي ابن المقير»، ذكره الحافظ الرداني في صلته.

٣٩ ــ «الأربعون حديثًا عن أربعين شيخًا من أربعين بلدة»، للحافظ ابن أبي الصيف اليماني الزبيدي نزيل مكة (ت ٦٠٩هـ)، ذكره الشرجي في طبقات الخواص ص ١٤١.

**رابعًا: كتب الأربعين حديثًا البلدانية:**

٤٠ ـ «الأربعون البلدانية»، لمحدِّث الشام الحافظ أبـي القاسم علي بن عساكر (ت ٥٧١هـ)، رواها الحافظ عبد الحي الكتاني بأسانيده إلى القاضي زكرياء، عن الحافظ ابن حجر، عن أبـي الحسن ابن أبـي المجد، وأبـي هريرة ابن الذهبـي، عن أبـي محمد القاسم بن المظفر بن عساكر، عن أبـي محمد عبد الله بن عمر بن حمُّويه، عنه[1].

وقد طُبِـع بتحقيـق محمـد مطيـع الحـافـظ ـ دار الفكـر ١٤١٣هـ.

٤١ ـ «الأربعون البلدانية»، لشيخ الجماعة المقدم في هذه الصناعة الحافظ أبـي طاهر السِّلفي (ت ٥٧٦هـ). ويقول عبد الحي الكتاني: (وهي في نحو كرَّاسين، في أولها أنَّ الأئمة اعتنـوا بجمـع الأربعينـات حتـى حصـل لـه منهـا مـا ينيـف علـى سبعين. وتكاثر طلب أصحابه له في جمع أربعين فخرَّج لهم هذه الأربعينية عن أربعين شيخًا بأربعين مدينة مبتدءًا بالحرمين الشريفين مكة والمدينة، قال: إذ في ذكرهما أوفى الزينة، ثم بغيرهما على نسق يقتضيه على وجه أرتضيه، أبان فيها عن رحلة واسعة وأظهر فيها رتبة عالية وسمَّاها كتاب: الأربعين المستغني بتعيين ما فيه عن المعين، قال هو عنها: هو ما لم يسبقني مؤلف

---

(١) فهرس الفهارس ١/ ١١١.

فيما أظن إلى مثله. إذ لا يقدر عليه أحد إلاَّ مَن عُرِف بالرحلة الواسعة من بلد إلى بلد في عنفوان شبابه وابتداء طلبه للحديث، بائنًا كان المقصد أو قريبًا. ولم يبال بموته غريبًا، ولا بأهله ومآله، وما قد خلفه من ماله، قلت: قد كان هو وابن عساكر في عصر واحد، فلعل أحدهما لم يبلغه كتاب الآخر)[1].

٤٢ ــ «الأربعون الحلبية»، للحافظ عبد المؤمن ابن خلف الدمياطي (ت ٧٠٦هـ).

٤٣ ــ «الأربعون المتباينة الإسناد المخرَّجة على الصحيح من حديث أهل بغداد»، للحافظ الدمياطي أيضًا.

٤٤ ــ «الأربعون حديثًا البلدانية»، للحافظ أبي إسحاق ابن الحاج (ت ٧٦٨هـ).

٤٥ ــ «الأربعون بلدانية»، للحافظ العراقي (ت ٨٠٦هـ)، لم تكمل، بقي عليه منها أربعة بلدان. قرأها عليه الحافظ أبو حامد بن ظهيرة.

٤٦ ــ «الأربعون البلدانية»، للحافظ ابن طولون (ت ٩٥٣هـ).

٤٧ ــ «الأربعون من مرويات أربعين قرية»، للحافظ ابن طولون أيضًا.

---

(١) المرجع نفسه ١/ ١١٢.

٤٨ ــ «الأربعون المكية»، للعلاَّمة محمد بن إبراهيم المرشدي المكي.

**خامسًا: كتب الأربعين حديثًا المنتقاة من المصنفات:**

للحافظ ابن طولون أربعة تصانيف في هذا النوع:

٤٩ ــ «الأربعون الملتقطة من أربعين مشيخة».

٥٠ ــ «الأربعون المخرجة من مصنفات أربعين».

٥١ ــ «الأربعون المستخرجة من الموطأ»، رواية محمد بن الحسن، صاحب أبي حنيفة.

٥٢ ــ «الأربعون حديثًا المنتقاة من فضائل القرآن»، للحافظ المقدسي.

٥٣ ــ «أربعون حديثًا من رواية مالك عن نافع عن ابن عمر»، للحافظ جلال الدِّين السيوطي (ت ٩١١هـ).

٥٤ ــ «الأربعون الطبية المنتقاة من سنن ابن ماجه»، للحافظ محمد بن يوسف البرزالي (ت ٦٣٦هـ)، وهو والد الشيخ قاسم البرزالي، المحدِّث الحافظ، المعروف بعلم الدِّين.

وقد شرحها العلاَّمة الحكيم عبد اللطيف البغدادي، وحقَّقها العلاَّمة المغربي عبد الله كنون، وقد طبعتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب سنة ١٩٧٩م.

**سادسًا: كتب الأربعين في العقيدة:**

٥٥ ـ «الأربعون الإلٰهية»، للحافظ أبـي سعيد صلاح الدِّين خليل بن كيكلدي العلائي (ت ٧٦١هـ).

٥٦ ـ كتاب «الأربعين»، لسليمان بن إبراهيم العلوي اليمني (ت ٨٢٥هـ)، ذكره له تلميذه ابن الوزير اليمني في «الروض الباسم» ١/ ٩٢ وقال: (استوفى ذكر أحاديث الرؤية).

**سابعًا: كتب الأربعين حديثًا القدسية:**

٥٧ ـ «الأربعون القدسية»، لمحيـي الدِّين بن علي ابن العربـي (ت ٦٣٨هـ).

٥٨ ـ «الأحاديث القدسية الأربعينية»، للحافظ علي القاري (ت ١٠١٤هـ)، وقد طُبِعت في مطبعة عارف أفندي بـاسطنبـول عـام (١٣٢٤هـ)، كمـا طُبِعـت فـي حلـب عـام (١٣٤٥هـ).

**ثامنًا: كتب الأربعين حديثًا في التصوُّف:**

٥٩ ـ أشهرها كتاب «الأربعين الصوفية»، للسلمي، تخريج الحافظ السخاوي (ت ٩٠٢هـ).

**تاسعًا: كتب الأربعين حديثًا في موضوع واحد:**

٦٠ ـ «الأربعون الصغرى المخرَّجة في أحوال عباد الله تعالى وأخلاقهم»، للإمام الحافظ أبـي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨هـ).

وقد طُبِع بتحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول ــ دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ.

٦١ ــ كتاب «الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل المتَّقين»، للحافظ أبي الفتوح مجد الدِّين محمد بن علي الطائي الهمذاني (ت ٥٥٥هـ)، تحقيق الدكتور عبد الستَّار أبو غدَّة ــ والناشر: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٠هـ.

٦٢ ــ «الأربعون الأبدال»، للإمام الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (ت ٥٧١هـ). توجد منه نسخة في المكتبة الظاهرية، دمشق، مجموع (١٧) ق (١٩٩ ــ ٢١٥).

٦٣ ــ «أربعون حديثًا في الحضّ على الجهاد (للمؤلف نفسه»، طبع في دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ــ الكويت، وحقَّقه أحمد الحلواني، وطُبِع في دار الفكر.

٦٤ ــ «الأربعون في اصطناع المعروف»، للحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، حافظ مصر (ت ٦٥٦هـ)، وقد حقَّقه العلاَّمة المغربي محمد بن تاوت الطنجي. وطبع بوزارة الأوقاف بالمغرب ١٩٦٢م. وشرحه عبد الرحمن بن محمد الثعالبي (ت ٨٧٥هـ).

٦٥ ــ «الأربعون في الجهاد»، للحافظ عبد المؤمن ابن خلف الدمياطي (ت ٧٠٦هـ).

٦٦ ــ كتاب «الأربعين في أعمال المتَّقين»، للحافظ صلاح الدِّين خليل بن كيكلدي العلائي (ت ٧٦١هـ). يقول عنه عبد الحي الكتاني: وهو في ٤٦ جزءًا وتسمَّى «الأربعون الكبرى»...[1].

٦٧ ــ كتاب «الأربعين المسندة في الخلافة والخلفاء»، للحافظ محمد بن مرزوق الأكبر، أبو عبد الله التلمساني (ت ٧٨١هـ)، ذكره صاحب نيل الابتهاج ص ٦٦٧، وصاحب تعريف الخلق ١/ ١٣٦.

٦٨ ــ «الأربعون في الجهاد»، للحافظ ولي الدين العراقي (ت ٨٢٦هـ).

٦٩ ــ «الأربعون في الطيلسان»، للحافظ جلال الدِّين السيوطي (ت ٩١١هـ).

٧٠ ــ «الأربعون في الجهاد»، للمؤلف نفسه.

٧١ ــ «الأربعون في فضائل آل العبَّاس»، للمؤلف نفسه.

٧٢ ــ «الأربعون في الجهاد»، للحافظ ابن حجر الهيثمي (ت ٩٧٤هـ).

٧٣ ــ «أربعون حديثًا في العدل»، للمؤلف نفسه.

---

(١) فهرس الفهارس ٢/ ٧٩٠.

٧٤ ــ كتاب «الأربعون حديثاً في تارك الصلاة ومانع الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوصية بالجار»، للحافظ النجمي الغيطي (ت ٩٨٤هـ)، تحقيق علاء عبد الوهاب محمد، والناشر: دار البشائر الإسلامية: ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٧م.

٧٥ ــ كتاب «الأربعين في جوامع الكلم»، للإمام علي القاري (ت ١٠١٤هـ). يوجد منها نسخ مخطوطة في المدينة المنوَّرة، المحمودية: ضمن مجموع رقم ٢٦٦٨، والجامعة الإسلامية ١٥٨٩/ ٦ في ورقة واحدة.

ويوجد أيضًا منها نسخة في اسطنبول:

ــ رئيس الكتاب: ١١٤٦/ ٥٣.

ــ أسعد أفندي: ٣٥٢٥/ ٦.

ــ داماد إبراهيم باشا: ٢٩٧/ ٣٠.

ــ وحاجي حسني باشا: ٢٥١/ ٦.

٧٦ ــ «أربعون حديثًا في فضل القرآن»، للمؤلف نفسه، يوجد منها عدة نسخ مخطوطة في:

١ ــ المدينة المنورة: عارف حكمت ١٧/ ٣، مجامع (٣) ق.

٢ ــ اسطنبول: أسعد أفندي ٣٥٢٤/ ٣.

٣ ــ القاهرة: (أول) ٧/ ٢٦ ــ ١/ ١٢٠.

٤ ــ ألمانيا الغربية: برلين ١٥٢٥ ــ ميونيخ: ٨٨٦.

٧٧ ــ «رفع الجناح وخفض الجناح بأربعين حديثًا في النكاح»، للمؤلف نفسه، يوجد منها عدة نسخ مخطوطة في:

١ ــ المدينة المنورة: عارف حكمت ٨٢/ ٢٨، مجامع (٤) ق (٨٥/ ٤٥).

٢ ــ اسطنبول: حميدية ٣٨٨/ ٢١. ٣ ق.

٣ ــ ألمانيا الغربية: برلين ٥٥٩٤.

٧٨ ــ «أربعون حديثًا في الرحمة»، للحافظ مرتضى الزبيدي اليمني (ت ١٢٠٥هـ).

٧٩ ــ «الأربعون في فضائل الحج والعمرة»، للعلاَّمة صدِّيق حسن خان القنوجي.

٨٠ ــ «أربعون حديثًا في ترك الظلم»، للشيخ محمد ابن أحمد الجوهري المصري، شرحها العلاَّمة ابن عبد السلام الناصري (ت ١٢٣٩هـ). قال في مستهلها: (وهب لي الشيخ ــ يعني الجوهري ــ منها نسخة وكتب على ظهرها: أجزتكم بها وأرجو أن تشرحوها إذا وصلتكم مع ذكر سندها ورتبتها والاقتصار على بيان المعاني مع الاختصار ما أمكن. فقلت له مشافهةً: إني لست من خيل ذلك الميدان ولا ممَّن يليق به أن يتجاسر على الأحاديث النبوية فيخطّ فيها ببيان)[1].

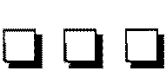

(١) فهرس الفهارس ٢/ ٨٤٥.

## الفصل الثاني

# التهجُّد: تعريفه، حكمه، والمؤلفات فيه

### ١ ــ تعريف التهجُّد:

( أ ) **التهجُّد في اللغة**: مصدر تهجَّد يتهجَّد تهجُّدًا، مأخوذ من (هجد)، يقال: هجد يهجد هجودًا، وأهجد إذا نام.

وهجد القوم هجودًا: ناموا، وتهجَّد فلان، أي: صلَّى بالليل[1]، وهذا اللفظ من الأضداد، وهي الكلمات التي تؤدي إلى معنيين متضادَّين بلفظ واحد.

يقال: تهجَّد إذا نام، وتهجَّد إذا سهر.

قال الجوهري: هجد وتهجَّد، أي: نام ليلاً، وهجد وتهجَّد، أي: سهر، وهو من الأضداد، ومنه قيل لصلاة الليل: التهجُّد[2].

---

(١) لسان العرب ٣/ ٤٣١.

(٢) الصحاح ٢/ ٥٥٥.

والهاجد حرف من الأضداد، يقال للنائم: هاجد، وللساهر: هاجد[1].

وقال ابن الأعرابي: هجد الرجل: إذا صلَّى بالليل، وهجد: إذا نام بالليل، والهاجد: النائم، والهاجد: المصلي، وكذلك المتهجِّد يكون مصلِّيًا ويكون نائمًا.

وقد فرَّق الأزهري بين الهاجد والمتهجِّد، فقال: والمعروف في كلام العرب أنَّ الهاجد النائم، وقد هجد هجودًا: إذا نام، وأما المتهجِّد: فهو القائم إلى الصلاة من النوم آخر الليل، وكأنه قيل له: متهجِّد لإلقائه الهجود عن نفسه؛ كما أنه قيل للعابد: متحنّث، لإلقائه الحنث عن نفسه، وهو الإثم[2].

(ب) **التهجُّد اصطلاحًا**: هو صلاة التطوُّع بالليل[3].

قال البعلي: التهجُّد: الصلاة بالليل[4]، وقال السيوطي: التهجُّد: قيام الليل[5]، ومنهم من خصَّصه بما كان بعد رقدة، فقال الإمام أحمد: قيام الليل من المغرب إلى طلوع الفجر،

---

(١) الأضداد لابن الأنباري ص ٥٠.

(٢) تهذيب اللغة ٦/ ٣٧.

(٣) تحرير ألفاظ التنبيه للنووي ص ٧٦.

(٤) المطلع على أبواب المقنع ص ٩٦.

(٥) الدر النثير تلخيص نهاية ابن الأثير ٤/ ٥٣.

والتهجُّد: ما كان بعد نومه[1].

وهذا يوافق ما رواه الطبراني في الكبير عن الحجاج ابن عمرو صاحب رسول الله ﷺ، قال: (يحسب أحدكم إذا قام من الليل يصلِّي حتى يصبح أنه قد تهجَّد، إنما تهجد المرء يصلِّي الصلاة بعد رقدة ثم الصلاة بعد رقدة، وتلك كانت صلاة رسول الله ﷺ)[2].

وقال علقمة بن قيس والأسود بن يزيد: (إنما التهجُّد بعد نومة)[3].

فيتَّضح من خلال التعريف أنَّ من العلماء مَن جعل التهجُّد بمعنى قيام الليل، ومنهم من جعل قيام الليل أعمّ وخصَّ التهجُّد بما كان بعد نومة.

## ٢ ــ حكم التهجُّد:

لقد فرض الله عزَّ وجلّ قيام الليل على الأمة في بادىء الأمر، فقام النبي ﷺ وأصحابه سنة كاملة حتى تفطَّرت

---

(١) المبدع لابن مفلح ١/ ٥٥٩.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٣/ ٢٥٤، (ح رقم ٦/ ٢٣)، وإسناده فيه عبد الله بن لهيعة، وهو صدوق إلاَّ أنه اختلط، ولكن تابعه الليث بن سعد في الحديث الذي قبله بلفظ: (كان رسول الله ﷺ يتهجَّد بعد نومه...)، فيكون الحديث حسنًا لغيره.

(٣) أخرجه المروزي في قيام الليل ص ١٩.

أقدامهم، ثم بعد ذلك خفَّف الله عنهم فجعل قيام الليل تطوُّعًا.

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث سعد بن هشام بن عامر عن عائشة رضي الله عنها مطوَّلاً، وفيه: (فقلت: أنبئني عن قيام رسول الله ﷺ، فقالت: ألست تقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾؟ فقلت: بلى. قالت: فإنَّ الله عزَّ وجلّ افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام نبي الله ﷺ وأصحابه حولاً، وأمسك الله خاتمتها اثنى عشر شهرًا في السماء، حتى أنزل في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوُّعًا بعد فريضة. . .) الحديث[1].

وقد جاء معناه أيضًا من حديث ابن عباس، أخرجه ابن جرير في تفسيره[2].

ولكن هل النبي ﷺ داخل في هذا التخفيف، أم أنَّ قيام الليل ما زال في حقّه واجبًا؟

اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين:

**القول الأول**: إنه واجب في حق النبي ﷺ، وهو مذهب ابن عباس وأحد قولي الشافعي.

---

(١) صحيح مسلم ١/ ١٥١٢ (ح رقم ٧٤٦).

(٢) تفسير ابن جرير ٢٩/ ١٢٤.

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾[1]، حيث قالوا: أمره بالتهجُّد في هذه السورة كما أمره في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾[2].

وقوله ﷺ: «ثلاث هنَّ عليَّ فرائض وهنَّ لكم سنَّة: الوتر، والسِّواك، وقيام الليل»[3].

وأما قوله تعالى: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾، فلو كان المراد به التطوُّع لم يخصّه بأنه نافلة له، وإنما المراد بالنافلة الزيادة، ومطلق الزيادة لا يدلّ على التطوُّع، مثل قوله تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗ﴾[4]، أي زيادة على الولد[5].

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿نَافِلَةً﴾: يعني خاصة للنبي ﷺ، أمر بقيام الليل[6].

وقال مجاهد: النافلة للنبي ﷺ خاصة من أجل أنه غفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، فما عمل من عمل سوى المكتوبة

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٩.

(٢) سورة المزمل: الآيتان ١ ــ ٢.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب ما وجب عليه من قيام الليل ٧/ ٣٩، والخصائص الكبرى للسيوطي ٣/ ٢٥٣، وقال البيهقي: فيه موسى بن عبد الرحمن ضعيف جدًّا.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٧٢.

(٥) زاد المعاد ١/ ٣٢٢.

(٦) الدرّ المنثور ٤/ ٢١٦.

فهو نافلة من أجل أنه لا يعمل ذلك في كفارة الذنوب فهي نوافل له وزيادة، والناس يعملون ما سوى المكتوبات لذنوبهم في كفاراتها، فليس للناس نوافل إنما هي للنبي ﷺ[1].

وقال ابن القيم: والمقصود أنَّ النافلة في الآية لم يرد بها ما يجوز فعله وتركه كالمستحب والمندوب، وإنما المراد بها الزيادة في الدرجات، وهذا قدر مشترك بين الفرض والمستحب، فلا يكون قوله: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ نافيًا لما دلَّ عليه الأمر بالوجوب[2].

**القول الثاني**: إنه غير واجب عليه ﷺ، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾، فهذا صريح في عدم الوجوب، لأنَّه من باب النافلة لا الفرض.

وصنيع البخاري يشعر بأنه يذهب إلى هذا القول، حيث أخرج في كتاب التهجُّد من صحيحه ــ في باب قيام النبي ﷺ بالليل ونومه وما نسخ من قيام الليل ــ، من حديث أنس، قال: (كان لا تشاء أن تراه من الليل مصلِّيًا إلاَّ رأيته ولا نائمًا إلاَّ رأيته)، قال الحافظ ابن حجر: فإنه يدل على أنه كان ربما نام كل الليل، وهذا سبيل التطوُّع، فلو استمرَّ الوجوب لما أخلَّ بالقيام[3].

---

(١) تفسير ابن جرير ١٥/ ١٤٣.

(٢) زاد المعاد ١/ ٣٢٢.

(٣) فتح الباري ٣/ ٢٢.

قال النووي: اختلفوا في نسخه في حقّه ﷺ، والأصحّ عندنا نسخه[1]، وهو اختيار الشوكاني[2].

واتَّضح ممَّا تقدَّم أنَّ التهجُّد في حق الأمة مستحب وليس بواجب، قال النووي بعد حديث عائشة المتقدِّم: (هذا ظاهره أنه صار تطوُّعًا في حقِّ رسول الله ﷺ والأمة، فأما الأمَّة فهو تطوُّع في حقِّهم بالإجماع)[3].

وقال ابن عبد البر[4]: قيام الليل سُنَّة مسنونة، وحكي الإجماع عن العلماء أنَّ قيام الليل منسوخ عن الناس...

ولكن يرى بعض العلماء أنَّ قيام الليل واجب على الأمة ولو يسيرًا، وهو قول الحسن، وابن سيرين، وعبيدة السلماني، واستدلّوا بقوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾[5].

قالوا: نسخ التحديد، وبقي من غير تحديد.

قال ابن عبد البر: وأوجب بعض التابعين قيام الليل فرضًا ولو قدر حلب شاة، وهو قول شاذ متروك؛ لإجماع العلماء أنَّ قيام الليل منسوخ عن الناس بقوله عزَّ وجلّ:

---

(١) شرح صحيح مسلم ٦/ ٢٧.
(٢) فتح القدير ٥/ ٣٢٢.
(٣) شرح صحيح مسلم ٦/ ٢٦ ــ ٢٧.
(٤) التمهيد ٨/ ١٢٤.
(٥) سورة المزمل: الآية ٢٠.

﴿عَلِمَ أَلَّن تُحْصُوهُ. . .﴾[1].

## ٣ ــ المؤلَّفات في التهجُّد:

لا يخلو كتاب من كتب السُّنَّة من كتاب أو باب في صلاة الليل يتضمَّن أحاديث في فضل التهجُّد وقيام الليل، وكيف كانت صلاة النبي ﷺ في الليل، فقد أفرد البخاري في صحيحه كتابًا خاصًّا في التهجُّد[2]، وذكر فيه (٣٧) بابًا.

وممَّن أفرد هذا الموضوع بكتاب مستقل:

١ ــ أبو بكر ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، وكتابه: «التهجُّد وقيام الليل»، وهو مطبوع.

٢ ــ إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الختلي، واسم كتابه: «التهجُّد»[3].

٣ ــ محمد بن نصر المروزي (ت ٢٩٤هـ) في كتابه: «قيام الليل».

٤ ــ محمد بن الحسين الآجري (ت ٣٦٠هـ)، له كتابان، وهما: «كتاب التهجُّد»[4]، وكتاب: «قيام الليل وفضل

---

(١) التمهيد ٨/ ١٢٤.

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ٣/ ٣.

(٣) ذكره ابن خير في فهرسه ص ٢٨٧.

(٤) اختصره أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ)، وطُبِع هذا المختصر أكثر من مرَّة.

قيام رمضان»[1].

٥ ـ أبو عبد الله يونس بن عبد الله بن مغيث (ت ٤٢٩هـ)، واسم كتابه: «التهجُّد»[2].

٦ ـ مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، وكتابه: «التهجُّد في القرآن»[3].

٧ ـ عبد الحق الإشبيلي، له كتاب اسمه: «التهجُّد»، فهو كتاب في الصلاة عمومًا، والتهجُّد خصص له بعض أبواب الكتاب.

(١) ذكره ابن خير في فهرسه ص ٢٨٥، والذهبي في السِّيَر ١٦/ ١٣٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ذكره القفطي في إنباه الرواة ٣/ ٣١٨.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

# أربعون حديثًا
## في
# التهجد وقيام الليل

مع شرحها وتخريجها من المصادر الأصلية

تأليف
الدكتور محمد بن عزوز

## الفصل الثالث
# أربعون حديثًا في التهجُّد

## الحديث الأول

**عن حذيفة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ كان إذا قام للتهجُّد من الليل يشوص فاه بالسواك.**

أخرجه البخاري في كتاب التهجُّد، باب: طول القيام في صلاة الليل[1].

واستشكل ابن بطال دخول هذا الحديث في هذا الباب فقال: «لا مدخل له هنا لأنَّ التسوُّك في صلاة الليل لا يدلّ على طول الصلاة، قال: ويمكن أن يكون ذلك من غلط الناسخ فكتبه في غير موضعه، أو أنَّ البخاري أعجلته المنيَّة قبل تهذيب كتابه، فإنَّ فيه مواضع مثل هذا تدلّ على ذلك.

وقال ابن المنيِّر[2]: «ويحتمل عندي ــ والله أعلم ــ أن يكون في الحديث إشارة إلى معنى الترجمة، من جهة أنَّ

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ٢٥ من فتح الباري.

(٢) المتواري على أبواب البخاري ص ١٢٣.

استعمال السِّواك حينئذ يدلّ على ما يناسبه من إكمال الهيئة، والتأهُّب للعبادات، وأخذ النفس حينئذ بما يؤخذ به في النهار، فكأن ليلته ﷺ نهارًا، وهو دليل طول القيام به، إذ النافلة المخففة لا يتهيَّأ لها هذا التهيُّؤ الكامل».

وقال ابن رُشيد: الذي عندي أنَّ البخاري إنما أدخله لقوله: «**إذا قام للتهجد**»، أي إذا قام لعادته، وقد تبيَّنت عادته في الحديث الآخر، ولفظ التهجُّد مع ذلك مستعر بالسَّهر، ولا شكَّ أنَّ في التسوُّك عونًا على دفع النوم فهو مشعر بالاستعداد للإطالة».

وقال البدر بن جماعة: يظهر لي أنَّ البخاري أراد بهذا الحديث استحضار حديث حذيفة الذي أخرجه مسلم، قال: وإنَّما لم يخرجه لكونه على غير شرطه، فإما أن يكون أشار إلى أنَّ الليلة واحدة، أو نبَّه بأحد حديثي حذيفة على الآخر.

قال ابن حجر: وأقربها توجيه ابن رُشيد[1].

(١) فتح الباري ٣/ ٢٦.

## الحديث الثاني

**عن أم سلمة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ استيقظ ليلة فقال: «سبحان الله، ماذا أنزل الليلة من الفتنة، ماذا أنزل من الخزائن، من يوقظ صواحب الحجرات؟ يا رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة».**

أخرجه الإمام البخاري في كتاب التهجُّد ــ باب: تحريض النبي ﷺ على قيام الليل والنوافل من غير إيجاب[1].

**أفاد هذا الحديث** تحريض النبي ﷺ أمته على قيام الليل، وكل شيء أحبّه ﷺ استلزم التحريض عليه لولا ما عارضه من خشية الافتراض.

قال ابن رُشيد: كأنَّ البخاري فهم أنَّ المراد بالإيقاظ الإيقاظ للصلاة لا لمجرد الإخبار بما أنزل، لأنه لو كان لمجرَّد الإخبار لكان يمكن تأخيره إلى النهار لأنَّه لا يفوت. ويتحمَّل أن يقال: إنَّ لمشاهدة حال المخبر حينئذ أثرًا لا يكون عند

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ١٤ (الفتح)، وأخرجه أيضًا في مواقع أخرى من صحيحه، منها: في كتاب العلم، باب العلم والعظة بالليل؛ وكتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلَّا الذي بعده شرٌّ منه.

التأخير، فيكون الإيقاظ في الحال أبلغ لوعيهن ما يخبرهن به ولسمعهن ما يعظهن به.

وقد روي من طريق شُعيب عن الزهري عند البخاري في الأدب وغيره في هذا الحديث: «**من يوقظ صواحب الحجر**»، يريد أزواجه، حتى يصلين.

**وفيه**: التحريض على صلاة الليل، وعدم الإيجاب يؤخذ من ترك التزامهن بذلك.

**وقوله**: «**سبحان الله ماذا**»: ما: استفهامية متضمّنة لمعنى التعجُّب والتعظيم[1]، وعبَّر عن الرحمة بالخزائن كقوله تعالى: ﴿خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾[2]، وعن العذاب بالفتن لأنها أسبابه.

والمراد بالإنزال: إعلام الملائكة بالأمر المقدور، أو أنَّ النبي ﷺ أوحي إليه في نومه ذاك بما سيقع بعده من الفتن، فعبَّر عنه بالإنزال.

والمراد بالخزائن: خزائن فارس والروم وغيرهما ممَّا فُتح على الصحابة.

**وقوله**: «**صواحب الحجرات**»: هي منازل أزواج

---

(١) قال ابن بطال: (التسبيح والتكبير معناه تعظيم الله وتنزيهه من السوء، واستعمال ذلك عند التعجُّب واستعظام الأمر حسن، وفيه تمرين اللسان على ذكر الله تعالى...)، الفتح ١٠/ ٧٣٣.

(٢) سورة ص: الآية ٩.

النبي ﷺ، وإنما خصَّهن بالإيقاظ لأنَّهن الحاضرات حينئذ، أو من باب: «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول».

**وقوله**: «**رب كاسية في الدنيا**»: في رواية ابن المبارك: «يا رب كاسية» بزيادة حرف النداء في أوله، وفي رواية هشام: «كم من كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة». وهو يؤيِّد ما ذهب إليه ابن مالك من أنَّ (رُبَّ) أكثر ما ترد للتكثير، فإنه قال: أكثر النحويين أنها للتقليل، وإنَّ معنى ما يصدر بها المضي، والصحيح أنَّ معناها في الغالب التكثير وهو مقتضى كلام سيبويه، فإنه قال في (باب كم): واعلم أنَّ (كم) في الخبر لا تعمل إلاَّ فيما تعمل فيه (رُبَّ)؛ لأنَّ المعنى واحد، إلاَّ أنَّ (كم) اسم و (رب) غير اسم. ولا خلاف أنَّ معنى (كم) الخبرية التكثير، ولم يقع في كتابه ما يعارض ذلك، فصحَّ أنَّ مذهبه ما ذكرت، فليس مراده أنَّ ذلك قليل، بل المتَّصف بذلك من النساء كثير، ولذلك لو جعلت (كم) موضع (رب) لحسن.

ومما وردت فيه للتكثير قول حسان:

رب حلم أضاعه عدم المال وجهل غطى عليه النعيم

وقول عدي:

رب مأمول وراج أملا قد ثناه الدهر عن ذلك الأمل

قال: والصحيح أيضًا أنَّ الذي يصدر برُب لا يلزم كونه ماضي المعنى، بل يجوز مضيّه، وحضوره، واستقباله، وقد اجتمع في الحديث الحضور والاستقبال.

**قوله: «عارية في الآخرة»**: قال عياض: الأكثر بالخفض على الوصف للمجرور بـ (رب)، وقال غيره: الأَولى الرفع على إضمار مبتدأ، والجملة في موضع النعت، أي: هي عارية، والفعل الذي يتعلَّق به (رُب) محذوف، وقال السهيلي: الأحسن الخفض على النعت؛ لأنَّ (رُبَّ) حرف جر يلزم صدر الكلام.

واختلف في المراد بقوله: «كاسية وعارية» على أوجه:

**أحدها**: كاسية في الدنيا بالثياب لوجود الغنى عارية في الآخرة من الثواب لعدم العمل في الدنيا.

**ثانيها**: كاسية بالثياب لكنها شفَّافة لا تستر عورتها فتعاقب في الآخرة بالعري جزاء ذلك.

**ثالثها**: كاسية من نعم الله عارية من الشكر الذي تظهر ثمرته في الآخرة بالثواب.

**رابعها**: كاسية جسدها لكنها تشد خمارها من ورائها فيبدو صدرها فتصير عارية فتعاقب في الآخرة.

**خامسها**: كاسية من خلعة التزوُّج بالرجل الصالح، عارية

في الآخرة من العمل فلا ينفعها صلاح زوجها كما قال تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾[1].

ذكر هذا الأخير الطيبي ورجَّحه لمناسبة المقام.

واللفظة وإن وردت في أزواج النبي ﷺ لكن العبرة بعموم اللفظ.

قال ابن بطال: في هذا الحديث أنَّ الفتوح في الخزائن تنشأ عن فتنة المال بأن يُتنافس فيه فيقع القتال بسببه، وأن يُبْخَلَ به فَيُمْنَعُ الحَقُّ أو يَبْطَر صاحِبُه فيسرف، فأراد ﷺ تحذير أزواجه من ذلك كله، وكذا غيرهن ممَّن بلغه ذلك.

**وفي الحديث**: الندب إلى الدعاء والتضرُّع عند نزول الفتنة، ولا سيَّما في الليل؛ لرجاء وقت الإجابة لتكشف، أو يسلم الداعي ومن دعا له.

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٠١.

## الحديث الثالث

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «اللَّـهُمَّ لك الحمد أنت قَيِّمُ السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللَّـهُمَّ لك أسلمت، وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت، وبك خاصمت وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إلـه إلا أنت ــ أو لا إلـه غيرك».

هذا الحديث أخرجه بهذا اللفظ الإمام البخاري في كتاب التهجُّد[1]، باب «التهجُّد بالليل»، وقوله عزَّ وجلّ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾»[2].

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ٥ من فتح الباري.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٩.

وظاهر السياق أنَّ هذا التحميد كان يقوله ﷺ أوَّل ما يقوم إلى الصلاة.

وترجم عليه ابن خزيمة الدليل على أنَّ النبي ﷺ كان يقول هذا التحميد بعد أن يكبِّر. ثمَّ ساقه من طريق قيس بن سعد عن طاوس، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام للتهجُّد قال بعدما يكبِّر: «اللَّهُمَّ لك الحمد...» الحديث.

وجاء من طريق كريب عن ابن عباس في حديث مبيته عند النبي ﷺ في بيت ميمونة، وفي آخره: (وكان في دعائه: «اللَّهُمَّ اجعل في قلبي نورًا...») الحديث، وهذا قاله لما أراد أن يخرج إلى صلاة الصبح كما بيَّنه مسلم من رواية علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه.

**ومعنى قوله: «أنت الحق»**، أي: المتحقق الوجود الثابت بلا شك فيه. قال القرطبي: هذا الوصف له سبحانه وتعالى بالحقيقة خاص به لا ينبغي لغيره، إذ وجوده لنفسه فلم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم، بخلاف غيره.

وقال ابن التين: يحتمل أن يكون معناه: أنت الحق بالنسبة إلى من يدَّعي فيه أنه إله، أو بمعنى: إنَّ من سمَّاك إلهًا فقد قال الحق.

**وقوله: «ووعدك الحق»**، أي: الثابت، وعرَّفه ونكَّر ما بعده؛ لأنَّ وعده مختص بالإنجاز دون وعد غيره، والتنكير في

البواقي للتعظيم، واللقاء وما ذكر بعده داخل تحت الوعد، لكن الوعد مصدر وما ذكر بعده هو الموعود به، ويحتمل أن يكون من الخاص بعد العام، كما أنَّ ذكر القول بعد الوعد من العام بعد الخاص.

وقوله: «**اللَّهُمَّ لك أسلمت**»، أي: انقدت وخضعت، «**وبك آمنت**»، أي: صدَّقت، «**وعليك توكَّلت**»، أي: فوَّضت الأمر إليك، «**وإليك أنبت**»، أي: رجعت إليك في تدبير أمري.

وقوله: «**وبك خاصمت**»، أي: بما أعطيتني من البرهان والحجة، و «**إليك حاكمت**»، أي: كل من جحد الحق حاكمته إليك وجعلتك الحكم بيننا، لا من كانت الجاهلية تتحاكم إليه من كاهن ونحوه.

وقدم مجموع صلات هذه الأفعال عليها إشعارًا بالتخصيص وإفادة الحصر.

وكذا قوله: «**ولك الحمد**».

وقوله: «**فاغفر لي**»، قال ذلك مع كونه مغفورًا له إمَّا على سبيل التواضع والهضم لنفسه وإجلالاً وتعظيمًا لربه، أو على سبيل التعليم لأمته لتقتدي به. والأَولى أنه لمجموع ذلك، وإلاَّ لو كان للتعليم فقط لكفى فيه أمرهم بأن يقولوا.

وقوله: «**وما أسررت وما أعلنت**»، أي: أخفيت وأظهرت، أو ما حدَّثت به نفسي، وما تحرَّك به لساني.

قوله: «**أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر**»: أشار بذلك إلى نفسه؛ لأنَّه المقدِّم في البعث في الآخرة، والمؤخِّر في البعث في الدنيا.

قال الكرماني: **هذا الحديث من جوامع الكلم؛ لأنَّ لفظ** (القيم) إشارة إلى أنَّ وجود الجواهر وقوامها منه، و (النور) إلى أنَّ الأعراض أيضًا منه، و (الملك) إلى أنه حاكم عليها إيجادًا وإعدامًا يفعل ما يشاء، وكل ذلك من نعم الله على عباده، فلهذا قرن كلًّا منها بالحمد وخصّص الحمد به. ثم قوله: (أنت الحق) إشارة إلى المبدأ، و (القول) ونحوه إلى المعاش، و (الساعة) ونحوها إشارة إلى المعاد. وفيه الإشارة إلى النبوَّة وإلى الجزاء ثوابًا وعقابًا، ووجوب الإيمان والإسلام والتوكُّل والإنابة والتضرُّع إلى الله والخضوع له.

**وأفاد الحديث أيضًا**: زيادة معرفة النبي ﷺ بعظمة ربّه وعظيم قدرته ومواظبته على الذكر والدعاء، والثناء على ربّه والاعتراف له بحقوقه والإقرار بصدق وعده ووعيده.

**وفيه**: استحباب الثناء على المسألة عند كل مطلوب.

**وفيه**: استحباب دعاء المتهجِّد بالليل بهذا الدُّعاء اقتداءً به ﷺ.

# الحديث الرابع

**عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من تعار من الليل فقال: لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلاَّ الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله، ثم قال: اللَّهُمَّ اغفر لي ــ أو دعا ــ استجيب، فإن توضأ قبلت صلاته».**

رواه البخاري في كتاب التهجُّد ــ باب: فضل من تعارَّ من الليل فصلَّى[1].

**قوله: «من تعار من الليل»**، تعارَّ: بمهملة وراء مشددة، قال في المحكم: تعار الظليم معارة: صاح، والتعار أيضًا: السَّهر والتمطِّي والتقلُّب على الفراش ليلاً مع كلام.

وقال ثعلب: اختلف في تعار، فقيل: انتبه، وقيل: تكلم، وقيل: علم، وقال الأكثر: التعار: اليقظة مع صوت.

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ٥١ من فتح الباري.

وقال ابن التين: ظاهر الحديث أنَّ معنى تعار: استيقظ؛ لأنه قال: «من تعار فقال»، فعطف القول على التعار. ويحتمل أن تكون الفاء تفسيرية لما صوت به المستيقظ؛ لأنه قد يصوت بغير ذكر، فخصَّ الفضل المذكور بمن صوت بما ذكر من ذكر الله تعالى، وهذا هو السر في اختيار لفظ تعار دون استيقظ أو انتبه، وإنما يتفق ذلك لمن تعوَّد الذكر واستأنس به وغلب عليه حتى صار حديث نفسه في نومه ويقظته، فأكرم من اتَّصف بذلك بإجابة دعوته وقَبول صلاته.

**وقوله**: «**فإن توضأ قبلت**»، قال ابن بطال: وعد الله على لسان نبيّه أنَّ من استيقظ من نومه لهجًا لسانه بتوحيد ربه والإذعان له بالملك، والاعتراف بنعمه يحمده عليها، وينزهه عمَّا لا يليق به بتسبيحه والخضوع له بالتكبير، والتسليم له بالعجز عن القدرة إلاَّ بعونه، أنه إذا دعاه أجابه، وإذا صلَّى قُبِلت صلاته، فينبغي لمن بلغه هذا الحديث أن يغتنم العمل به ويخلص نيَّته لربّه سبحانه وتعالى.

يقول الحافظ ابن حجر[1]: (والذي يظهر أنَّ المراد بالقَبول هنا قدر زائد على الصحة، ومن ثم قال الداودي ما محصله: مَن قبِل الله له الحسنة لم يعذِّبه؛ لأنَّه يعلم عواقب الأمور فلا يقبل شيئًا ثم يحبطه، وإذا أمن الإحباط أمن

(١) فتح الباري ٣/ ٥٤.

التعذيب، ولهذا قال الحسن: وددت أنِّي أعلم أنَّ الله قبِل لي سجدة واحدة.

وقال أبو عبد الله الفِرَبْري الراوي عن البخاري: أجريت هذا الذكر على لساني عند انتباهي ثم نمت، فأتاني آت فقرأ: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[1].

(١) سورة الحج: الآية ٤.

## الحديث الخامس

**عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان عندي امرأة من بني أسد، فدخل علي رسول الله ﷺ فقال: «من هذه»؟ قلت: فلانة، لا تنام الليل ــ تذكر من صلاتها ــ، فقال: «مه، عليكم ما تطيقون من الأعمال، فإن الله لا يمل حتى تملوا»**.

أخرجه البخاري في كتاب التهجُّد ــ باب: ما يكره من التشديد في العبادة[1].

ووصْفُها بأنها لا تنام الليل، خرج مخرج الغالب.

وسُئِل الشافعي عن قيام جميع الليل فقال: لا أكرهه إلاَّ لمن خشي أن يضرّ بصلاة الصبح.

وفي قوله ﷺ في جواب ذلك «مه»، إشارة إلى كراهة ذلك خشية الفتور والملال على فاعله؛ لئلا ينقطع عن عبادة التزمها فيكون رجوعًا عمَّا بذل لربه من نفسه.

**وقوله: «عليكم ما تطيقون من الأعمال»**، هو عام في الصلاة وفي غيرها.

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ٤٦ من فتح الباري.

**قوله**: «مه»، قال الجوهري: هي كلمة مبنية على السكون، وهي اسم سُمِّي به الفعل، والمعنى: اكفف، يقال: مهمهته إذا زجرته.

وقال الداودي: أصل هذه الكلمة: (ما هذا) كالإنكار، فطرحوا بعض اللفظة، فقالوا: (مه)، فصيَّروا الكلمتين كلمة.

وهذا الزجر يحتمل أن يكون لعائشة، والمراد نهيها عن مدح المرأة بما ذكرت. ويحتمل أن يكون المراد النهي عن ذلك الفعل. وقد أخذ بذلك جماعة من الأئمة، فقالوا: يكره صلاة جميع الليل.

**قوله**: «**عليكم بما تطيقون**»، أي: اشتغلوا من الأعمال بما تستطيعون المداومة عليه. فمنطوقه يقتضي الأمر بالاقتصار على ما يطاق من العبادة، ومفهومه يقتضي النهي عن تكلُّف ما لا يُطاق.

وقال القاضي عياض: يحتمل أن يكون هذا خاصًّا بصلاة الليل، ويحتمل أن يكون عامًّا في الأعمال الشرعية.

**قوله**: «**فوالله**»: فيه جواز الحلف من غير استحلاف، وقد يستحب إذا كان في تفخيم أمر من أمور الدين أو حث عليه أو تنفير من محذور.

**وقوله**: «**إنَّ الله لا يمل حتى تملوا**»، الملال: استثقال الشيء ونفور النفس عنه بعد محبَّته، وهو محال على الله تعالى

باتفاق، قال الإسماعيلي وجماعة من المحققين: إنما أطلق هذا على جهة المقابلة اللفظية مجازًا كما قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[1].

قال القرطبي: وجه مجازه أنه تعالى لما كان يقطع ثوابه كمن يقطع العمل ملالاً عبّر عن ذلك بالملال من باب تسمية الشيء باسم سببه.

وقال الهروي: معناه: لا يقطع عنكم فضله حتى تملّوا سؤاله فتزهدوا في الرغبة إليه. وهذا كله بناء على أن «حتى» على بابها في انتهاء الغاية، وما يترتَّب عليها من المفهوم.

وجنح بعضهم إلى تأويلها فقيل: معناه: لا يمل الله إذا مللتم، وهو مستعمل في كلام العرب، يقولون: لا أفعل كذا حتى يبيض القار أو حتى يشيب الغراب.

وقال المازري: قيل: إن حتى هنا بمعنى الواو، فيكون التقدير: لا يملّ وتملّون، فنفى عنه الملل وأثبته لهم.

وقيل: حتى بمعنى حين.

والأول أليق وأجرى على القواعد، وإنه من باب المقابلة اللفظية، ويؤيِّده ما وقع في بعض طرق حديث عائشة، بلفظ: «اكلفوا من العمل ما تطيقون، فإنَّ الله لا يملّ من الثواب حتى

---

(١) سورة الشورى: الآية ٤٠.

تملّوا من العمل»، لكن في سنده موسى بن عبيدة، وهو ضعيف.

قال الإمام النووي: بدوام القليل تستمر الطاعة بالذكر والمراقبة والإخلاص والإقبال على الله، بخلاف الكثير الشاق حتى ينمو القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافًا كثيرة.

ويقول ابن الجوزي: إنَّ مداوم الخير ملازم للخدمة، وليس من لازَمَ الباب في كل يوم وقتًا ما كمن لازم يومًا كاملاً ثم انقطع.

## الحديث السادس

**عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: «ما هذا الحبل؟»، قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت. فقال النبي ﷺ: «لا، حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد».**

أخرجه البخاري في كتاب التهجُّد ــ باب: ما يكره من التشديد في العبادة[1].

وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها[2].

**قوله: «هذا حبل لزينب»**، جزم كثير من الشرَّاح تبعًا للخطيب في مبهماته بأنها بنت جحش أم المؤمنين، وقال ابن حجر[3]: (ولم أر ذلك في شيء من الطرق صريحًا، ووقع في شرح الشيخ سراج الدِّين ابن الملقن: أنَّ ابن أبي شيبة رواه كذلك، لكني لم أر في مسنده ومصنفه زيادة على قوله: «قالوا: لزينب»، أخرجه عن إسماعيل بن علية عن عبد العزيز، وكذا

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ٤٦ من فتح الباري.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٥٤٢.

(٣) فتح الباري ٣/ ٤٧.

أخرجه مسلم عنه، وأبو نعيم في المستخرج من طريقه. وروى أحمد من طريق حماد عن حميد، عن أنس، أنَّها حمنة بنت جحش، فلعلَّ نسبة الحبل إليهما باعتبار أنه ملك لإِحداهما والأُخرى المتعلقة به.

ووقع في صحيح ابن خزيمة من طريق شعبة عن عبد العزيز، (فقالوا: لميمونة بنت الحارث)، وهي رواية شاذَّة، وقيل: يحتمل تعدُّد القصَّة).

**وفي الحديث**: الحثّ على الاقتصاد في العبادة، والنهي عن التعمُّق فيها، والأمر بالإِقبال عليها بنشاط.

**وفيه**: إزالة المنكر باليد واللسان، وجواز تنفُّل النساء في المسجد.

**واستدلَّ به** على كراهة التعلُّق بالحبل في الصلاة.

# الحديث السابع

**عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ صلَّى ذات ليلة في المسجد، فصلَّى بصلاته ناس، ثم صلَّى من القابلة فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فلما أصبح قال: «قد رأيت الذي صنعتم، ولم يمنعني من الخروج إليكم إلاَّ أني خشيت أن تفرض عليكم»، وذلك في رمضان.**

رواه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التهجُّد ــ باب: تحريض النبي ﷺ على قيام الليل والنوافل من غير إيجاب[1].

**وقوله: «صلَّى ذات ليلة في المسجد»**، وفي رواية عمرة عن عائشة: «أنه صلَّى في حجرته»، وليس المراد بها بيته، وإنما المراد الحصير التي كان يحتجرها بالليل في المسجد فيجعلها على باب بيت عائشة فيصلي فيه ويجلس عليه بالنهار.

وقد أخرجه البخاري في كتاب اللباس، ولفظه: «كان يحتجر حصيراً بالليل فيصلِّي عليه ويبسطه بالنهار فيجلس عليه».

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ١٤ من فتح الباري.

ولأحمد من طريق محمد بن إبراهيم عن أبـي سلمة، عن عائشة: «فأمرني أن أنصب له حصيرًا على باب حجرتي ففعلت، فخرج»، فذكر الحديث.

قال النووي: معنى يحتجر: يحوط موضعًا من المسجد بحصير يستره ليصلِّي فيه ولا يمر بين يديه مار ليتوفر خشوعه ويتفرَّغ قلبه.

وتعقَّبه الكرماني بأنَّ لفظ الحديث لا يدل على أن احتجاره كان في المسجد، قال: ولو كان كذلك للزم منه أن يكون تاركًا للأفضل الذي أمر الناس به حيث قال: «فصلوا بي بيوتكم، فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلَّا المكتوبة»، ثم أجاب بأنَّه صحَّ أنه كان في المسجد، فهو إذا احتجر صار كأنه بيت بخصوصيَّته، أو أنَّ السبب في كون صلاة التطوُّع في البيت أفضل لعدم شوبه بالرياء غالبًا، والنبي ﷺ منزَّه عن الرياء في بيته وفي غير بيته.

قوله: «**ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة**»: كذا رواه مالك بالشك. ولمسلم من رواية يونس عن ابن شهاب: (يتحدَّثون بذلك). ولأحمد من رواية ابن جريج عن ابن شهاب: (فلما أصبح تحدَّثوا أنَّ النبي ﷺ صلَّى في المسجد من جوف الليل، فاجتمع أكثر منهم)، زاد يونس: (فخرج النبي ﷺ في الليلة الثانية فصلوا معه، فأصبح الناس يذكرون

ذلك، فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج فصلّوا بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله).

**قوله: «فلم يخرج»**: زاد أحمد في رواية ابن جريج: (حتى سمعت ناسًا منهم يقولون: الصلاة)، وفي رواية سفيان بن حسين: (فقالوا: ما شأنه؟). وفي حديث زيد بن ثابت عند البخاري في كتاب الاعتصام: (ففقدوا صوته وظنّوا أنه قد نام، فجعل بعضهم يتنحنح ليخرج إليهم)، وفي حديثه في الأدب: (فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب).

**قوله: «فلما أصبح قال: قد رأيت الذي صنعتم»**: في رواية عقيل: (فلما قضى صلاة الفجر أقبل على الناس فتشهَّد ثم قال: «أما بعد فإنه لم يخف علي مكانكم» )، وفي رواية يونس وابن جريج: «لم يخف علي شأنكم»، وفي رواية معمر: أنَّ الذي سأله عن ذلك بعد أن أصبح عمر بن الخطَّاب.

**وقوله: «إلاَّ أنِّي خشيت أن تفرض عليكم»**: في رواية عقيل وابن جريج: «فتعجزوا عنها»، وفي رواية يونس: «ولكني خشيت أن تكتب عليكم صلاة الليل».

**وقوله: «فتعجزوا عنها»**، أي: تشق عليكم فتتركوها مع القدرة عليها، وليس المراد العجز الكلي لأنه يسقط التكليف من أصله.

ثمَّ إنَّ ظاهر هذا الحديث أنه ﷺ توقَّع ترتُّب افتراض صلاة

بالليل جماعة على وجود المواظبة عليها، وفي ذلك إشكال، وقد بناه بعض المالكية على قاعدتهم في أنَّ الشروع ملزم وفيه نظر.

وأجاب المحبّ الطبري: بأنه يُحتمل أن يكون الله عزَّ وجلّ أوحى إليه: أنَّك إن واظبت على هذه الصلاة معهم افترضتها عليهم. فأحب التخفيف عنهم؛ فترك المواظبة.

ويُحتمل أن يكون ذلك وقع في نفسه كما اتفق في بعض القرب التي داوم عليها فافترضت، وقيل: خشي أن يظن أحد من الأمة من مداومته عليها الوجوب، وقيل: كان حكم النبي ﷺ أنَّه إذا واظب على شيء من أعمال البرّ واقتدى الناس به فيه أنه يفرض عليهم.

وقال ابن بطال: يُحتمل أن يكون هذا القول صدر منه ﷺ لمّا كان قيام الليل فرضًا عليه دون أمته، فخشي إن خرج إليهم والتزموا معه قيام الليل أن يسوِّي الله بينه وبينهم في حكمه؛ لأنَّ الأصل في الشرع المساواة بين النبي ﷺ وبين أمته في العبادة.

ويُحتمل أن يكون خشي من مواظبتهم عليها أن يضعفوا عنها فيعصي من تركها بترك اتِّباعه ﷺ.

وقد استشكل الخطابي أصل هذه الخشية مع ما ثبت في حديث الإسراء من أنَّ الله تعالى قال: «هن خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدي»، فإذا أمن التبديل فكيف يقع الخوف من الزيادة؟

وقد أجاب عنه الخطابي بأنَّ صلاة الليل كانت واجبة عليه ﷺ، وأفعاله الشرعية يجب على الأمة الاقتداء به فيها، يعني عن المواظبة ــ فترك الخروج إليهم لئلا يدخل ذلك في الواجب من طريق الأمر بالاقتداء به لا من طريق إنشاء فرض جديد زائد على الخمس، وهذا كما يوجب المرء على نفسه صلاة نذر فتجب عليه، ولا يلزم من ذلك زيادة فرض في أصل الشرع.

قال: وفيه احتمال آخر، وهو أنَّ الله فرض الصلاة خمسين، ثم حطَّ معظمها بشفاعة نبيّه ﷺ، فإذا عادت الأمة فيما استوهب لها والتزمت ما استعفى لهم نبيّهم ﷺ منه لم يستنكر أن يثبت ذلك فرضًا عليهم، كما التزم ناس الرهبانية من قِبل أنفسهم ثم عاب الله عليهم التقصير فيها، فقال: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾[1]، فخشي ﷺ أن يكون سبيلهم سبيل أولئك فقطع العمل شفقةً عليهم من ذلك. وقد تلقَّى هذين الجوابين من الخطابي جماعة من الشرَّاح كابن الجوزي.

يقول الحافظ ابن حجر[2]: «وقد فتح الباري بثلاثة أجوبة أخرى:

**أحدها**: يُحتمل أن يكون المخوف افتراض قيام الليل، بمعنى جعل التهجُّد في المسجد جماعة شرطًا في صحَّة التنفُّل

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٧.

(٢) فتح الباري: ٣/ ١٩.

بالليل، ويومىء إليه قوله في حديث زيد بن ثابت: «حتى خشيت أن يكتب عليكم، ولو كتب عليكم ما قمتم به، فصلوا أيها الناس في بيوتكم»، فمنعهم من التجميع في المسجد إشفاقًا عليهم من اشتراطه، وأمن مع إذنه في المواظبة على ذلك في بيوتهم من افتراضه عليهم.

**ثانيها**: يُحتمل ن يكون المخوف افتراض قيام الليل على الكفاية لا على الأعيان، فلا يكون ذلك زائدًا على الخمس، بل هو نظير ما ذهب إليه قوم في العيد ونحوها.

**ثالثها**: يُحتمل أن يكون المخوف افتراض قيام رمضان خاصة، فقد وقع في حديث الباب أنَّ ذلك كان في رمضان، وفي رواية سفيان بن حسين: «خشيت أن يفرض عليكم قيام هذا الشهر»، فعلى هذا يرتفع الإشكال؛ لأنَّ قيام رمضان لا يتكرَّر كل يوم في السَّنة، فلا يكون قدرًا زائدًا على الخمس، وأقوى هذه الأجوبة الثلاثة في نظري: الأول، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب).

**وفي الحديث**: ندب قيام الليل ولا سيَّما في رمضان جماعة؛ لأنَّ الخشية المذكورة أمنت بعد النبي ﷺ، ولذلك جمعهم عمر بن الخطَّاب على أُبَيّ بن كعب.

**وفيه**: أنَّ الكبير إذا فعل شيئًا خلاف ما اعتاده أتباعه أن يذكر لهم عذره وحكمه والحكمة فيه.

**وفيه**: ما كان النبـي ﷺ من الزَّهادة في الدُّنيا والاكتفاء بما قلَّ منها، والشَّفقة على أمَّته والرأفة بهم.

**وفيه**: ترك بعض المصالح لخوف المفسدة وتقديمهم أهمّ المصلحتين.

# الحديث الثامن

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا حسد إلاَّ في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل، وآناء النهار، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثلما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل. ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل**».

هذا الحديث أخرجه البخاري في عدة مواضع من صحيحه، وهذا اللفظ ورد في كتاب فضائل القرآن ــ باب: اغتباط صاحب القرآن.

**ومعنى الحسد**: تمنِّي زوال النعمة عن المنعم عليه، وخصّه بعضهم بأن يتمنَّى ذلك لنفسه، والحق أنَّه أعمّ، وسببه أنَّ الطباع مجبولة على حب الترفُّع على الجنس، فإذا رأى لغيره ما ليس له أحبّ أن يزول ذلك عنه له ليرتفع عليه، أو مطلقًا ليساويه.

وصاحبه مذموم إذا عمل بمقتضى ذلك من تصميم أو قول أو فعل، وينبغي لمن خطر له ذلك أن يكرهه كما يكره ما وضع في طبعه من حبّ المنهيات، واستثنوا من ذلك ما إذا

كانت النعمة لكافر أو فاسق يستعين بها على معاصي الله تعالى.

فهذا حكم الحسد بحسب حقيقته.

**وأما الحسد المذكور في الحديث فهو الغبطة**، وأطلق الحسد عليها مجازًا، وهي أن يتمنَّى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه، والحرص على هذا يسمى منافسة، فإن كان في الطاعة فهو محمود، ومنه: ﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾[1]، وإن كان في المعصية فهو مذموم، ومنه: «ولا تنافسوا»، وإن كان في الجائزات فهو مباح، فكأنه قال في الحديث: لا غبطة أعظم أو أفضل من الغبطة في هذين الأمرين.

ووجه الحصر أنَّ الطاعات إما بدنية أو مالية أو كائنة عنهما، وقد أشار إلى البدنية بإتيان الحكمة والقضاء بها وتعليمها.

**والمراد بقوله: «ورجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار»**: العمل به مطلقًا، أعمّ من تلاوته داخل الصلاة أو خارجها، ومن تعليمه والحكم والفتوى بمقتضاه.

ولأحمد من حديث يزيد بن الأخنس السلمي: «رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ويتبع ما فيه».

ويجوز حمل الحسد في الحديث على حقيقته على أنَّ

---

(١) سورة المطففين: الآية ٢٦.

الاستثناء منقطع، والتقدير نفي الحسد مطلقًا، لكن هاتان الخصلتان محمودتان، ولا حسد أصلاً.

**وأفاد قوله: «فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل»**، على أنَّ المراد بالحسد المذكور: الغبطة.

وقال الحافظ عبد المؤمن بن خلف الدمياطي في كتابه «المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح»[1]: (الحسد يطلق على تمنِّي زوال النعمة عن المحسود، وهذا حرام. ويطلق على الغبطة، وهي تمنِّي مثل ما للمغبط، فإن كان المغبط على حالة محمودة كما في هذا الحديث فهو تمنّ محمود يثاب عليه، وإن كان على حالة سيِّئة فهو تمن مذموم يؤاخذ به).

**وأفاد الحديث**: الحرص على منافسة من يجتهد في الطاعة وخصوصًا التهجُّد بالقرآن، وفي هذا المعنى ورد عن داود الطائي[2]: (ما حسدت أحدًا على شيء إلَّا أن يكون رجل يقوم من الليل فإني أحب أن أرزق قيام الليل).

قال أبو خالد: وبلغني أنه كان لا ينام الليل، فإذا غلبته عيناه، احتبى قاعدًا[3].

---

(١) ص ٩٨.

(٢) هو داود بن نصر، أبو سليمان الطائي الكوفي، ثقة فقيه زاهد (ت ١٦٠هـ). (التهذيب ٣/ ٢٠٣).

(٣) التهجُّد لابن أبي الدنيا ص ٢٤٨، تاريخ بغداد ٨/ ٣٥٠.

# الحديث التاسع

**عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، ويصوم يومًا ويفطر يومًا».**

هذا الحديث رواه الستة إلاَّ الترمذي، وهذا اللفظ للإمام البخاري في كتاب التهجُّد ــ باب: من نام عند السحر[1]، وقد أخرجه رحمه الله في تسعة عشر موضعًا من صحيحه.

**وقوله: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود»**: كان داود عليه السلام يجم نفسه بنوم أول الليل ثم يقوم في الوقت الذي ينادي الله فيه: هل من سائل فأعطيه سؤله، ثم يستدرك بالنوم ما يستريح به من نصب القيام في بقية الليل، وهذا هو النوم عند السحر.

وإنما صارت هذه الطريقة أحب من أجل الأخذ بالرفق للنفس التي يخشى منها السآمة، وقد قال ﷺ: «إنَّ الله لا يمل حتى تملوا»، والله يحب أن يديم فضله ويوالي إحسانه، وإنما

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ٢٢ من فتح الباري.

كان ذلك أرفق لأنَّ النوم بعد القيام يريح البدن ويذهب ضرر السهر وذبول الجسم، بخلاف السهر إلى الصباح.

وفيه من المصلحة أيضًا استقبال صلاة الصبح وأذكار النهار بنشاط وإقبال، وأنه أقرب إلى عدم الرياء؛ لأنَّ من نام السدس الأخير أصبح ظاهر اللون سليم القوى، فهو أقرب إلى أن يخفي عمله الماضي على من يراه. أشار إلى ذلك ابن دقيق العيد.

وحكي عن قوم أنَّ معنى قوله: «أحب الصلاة»، هو بالنسبة إلى من حاله من حال المخاطب بذلك، وهو من يشق عليه قيام أكثر الليل، وعمدة هذا القائل اقتضاء القاعدة زيادة الأجر بسبب زيادة العمل.

لكن يعارضه هنا اقتضاء العادة والجِبِلَّة التقصيرَ في حقوق يعارضها طول القيام، ومقدار ذلك الفائت مع مقدار الحاصل من القيام غير معلوم لنا، فالأولى أن يجري الحديث على ظاهره وعمومه.

وإذا تعارضت المصلحة والمفسدة فمقدار تأثير كل واحد منهما في الحثّ أو المنع غير محقق لنا، فالطريق أننا نفوِّض الأمر إلى صاحب الشرع، ونجري على ما دلَّ عليه اللفظ مع ما ذكرناه من قوَّة الظاهر، والله أعلم.

# الحديث العاشر

**عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على مكان كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد. فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلَّى انحلت عُقَدُه، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلاَّ أصبح خبيث النفس كسلان».**

أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التهجُّد ــ باب: عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يُصلِّ بالليل.

وأخرجه في كتاب بدء الخلق ــ باب: صفة إبليس وجنوده.

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين ــ باب: ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح.

وأخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب قصر الصلاة في السفر ــ باب: جامع الترغيب في الصلاة.

ورواه أبو داود في السنن في كتاب الصلاة ــ باب: قيام الليل، وابن حبان في صحيحه في كتاب الصلاة، فصل: في

قيام الليل، وابن خزيمة في صحيحه في كتاب الصلاة، جماع أبواب صلاة التطوُّع بالليل، جميعهم من طريق سفيان بن عيينة عن أبـي الزناد به.

**وفيه**: أنَّ المتهجِّد بالليل يصبح طيِّب النفس لسروره بما وفَّقه الله له من الطاعة، وبما وعده من الثواب، وبما زال عنه من عقد الشيطان.

**وقوله**: «**قافية رأس أحدكم**»، أي: مؤخّر عنقه، وقافية كل شيء مؤخّره، ومنه قافية القصيدة، وفي النهاية في غريب الحديث والأثر[1]: القافية: القفا، وقيل: مؤخّر الرأس، وقيل: وسطه.

**وظاهر قوله**: «**أحدكم**»، التعميم في المخاطبين ومن في معناهم، ويمكن أن يخص منه من تقدَّم ذكره، ومن ورد في حقّه أنه يُحفظ من الشيطان كالأنبياء، ومن تناوله قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾[2]، وكمن قرأ آية الكرسي عند نومه فقد ثبت أنه يحفظ من الشيطان حتى يصبح.

**قوله**: «**يضرب على مكان كل عقدة**»، أي: بيده على العقدة تأكيدًا وإحكامًا لها قائلاً ذلك. وقيل معنى يضرب: يحجب الحس عن النائم حتى لا يستيقظ، ومنه قوله تعالى:

---

(١) ٤/٩٤.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٦٥.

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾[1]، أي: حجبنا الحسّ أن يلج في آذانهم فينتبهوا، وفي حديث أبي سعيد: (ما أحد ينام إلاَّ ضرب على سماخه بجرير معقود)، أخرجه المخلص في فوائده، والسماخ بكسر المهملة وآخره معجمة، ويقال: بالصاد المهملة بدل السين.

وعند سعيد بن منصور بسند جيِّد عن ابن عمر: «ما أصبح رجل على غير وتر إلا أصبح على رأسه جرير قدر سبعين ذراعًا».

**قوله: «عليك ليل طويل»**، يقول ابن حجر[2]: كذا في جميع الطرق عن البخاري بالرفع، ووقع في رواية أبي مصعب في الموطأ عن مالك: (**عليك ليلاً طويلاً**)، وهي رواية ابن عيينة عن أبي الزناد عند مسلم، قال عياض: رواية الأكثر عن مسلم بالنصب على الإغراء، ومن رفع فعلى الابتداء، أي باق عليك، أو بإضمار فعل، أي: بقي.

وقال القرطبي: الرفع أولى من جهة المعنى، لأنه الأمكن في الغرور من حيث إنه يخبره عن طول الليل، ثم يأمره بالرقاد بقوله: (فارقد)، وإذا نصب على الإغراء لم يكن فيه إلاَّ الأمر بملازمة طول الرقاد، وحينئذ يكون قوله: (فارقد)

---

(١) سورة الكهف: الآية ١١.

(٢) فتح الباري ٣/ ٣٣.

ضائعًا. ومقصود الشيطان بذلك تسويفه بالقيام والإلباس عليه.

وقد اختلف في هذه العقد، فقيل: هو على الحقيقة وإنه كما يعقد الساحر من يسحره، وأكثر من يفعله النساء تأخذ إحداهن الخيط فتعقد منه عقدة وتتكلَّم عليه بالسحر فيتأثَّر المسحور عند ذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ ﴾[1]، وعلى هذا فالمعقود شيء عند قافية الرأس لا قافية الرأس نفسها.

وهل العقد في شعر الرأس أو في غيره؟ الأقرب الثاني، إذ ليس لكل أحد شعر، ويؤيده ما ورد في بعض طرقه أن على رأس كل آدمي حبلاً، ففي رواية ابن ماجه ومحمد بن نصر من طريق الحسن، عن أبـي هريرة مرفوعًا: «على قافية رأس أحدكم حبل فيه ثلاث عقد».

ولابن خزيمة وابن حبان من حديث جابر مرفوعًا: «ما من ذكر ولا أنثى إلاَّ على رأسه جرير معقود حين يرقد».

وفي الثواب لآدم بن أبـي إياس من مرسل الحسن نحوه.

والجرير بفتح الجيم هو الحبل، وفهم بعضهم من هذا أنَّ العُقد لازمة، ويرده التصريح بأنها تنحل بالصلاة فيلزم إعادة عقدها، فأبهم فاعله في حديث جابر، وفسر في حديث غيره.

---

(١) سورة الفلق: الآية ٤.

وقيل: هو على المجاز كأنه شبه فعل الشيطان بالنائم بفعل الساحر بالمسحور، فلما كان الساحر يمنع بعقده ذلك تصرُّف من يحاول عقده كان هذا مثله من الشيطان للنائم، وقيل: المراد به عقد القلب وتصميمه على الشيء كأنه يوسوس له بأنه بقي من الليلة قطعة طويلة فيتأخَّر عن القيام. وانحلال العقد كناية عن عمله بكذبه فيما وسوس به. وقيل: العقد كناية عن تثبيط الشيطان للنائم بالقول المذكور.

ومنه عقدت فلانًا عن امرأته، أي منعته عنها، أو عن تثقيله عليه النوم كأنه قد شدَّ عليه شدادًا، وقال بعضهم: المراد بالعقد الثلاث: الأكل، والشرب، والنوم؛ لأنَّ من أكثر الأكل والشرب كثر نومه، واستبعده المحب الطبري؛ لأنَّ الحديث يقتضي أنَّ العقد تقع عند النوم، فهي غيره.

قال القرطبي: الحكمة في الاقتصار على الثلاث أنَّ أغلب ما يكون انتباه الإنسان في السحر، فإن اتفق له أن يرجع إلى النوم ثلاث مرات لم تتقضَّ النومة الثالثة إلاَّ وقد ذهب الليل.

وقال البيضاوي: التقييد بالثلاث إما للتأكيد، أو لأنه يريد أن يقطعه عن ثلاثة أشياء: الذكر والوضوء والصلاة. فكأنه منع من كل واحدة منها بعقدة عقدها على رأسه، وكأن تخصيص القفا بذلك لكونه محل الوهم ومجال تصرُّفه وهو أطوع القوى للشيطان وأسرعها إجابة لدعوته.

وفي كلام الشيخ الملوي أنَّ العقد يقع على خزانة الإلٰهيات من الحافظة، وهي الكنز المحصل من القوى، ومنها ما يتناول القلب ما يريد التذكُّر به.

**قوله**: «**انحل عقده**»، ولمسلم من رواية ابن عيينة عن أبي الزناد: «انحلت العقد»، وظاهره أنَّ العقد تنحل كلها بالصلاة خاصة، وهو كذلك في حق من لم يحتج إلى الطهارة كمن نام متمكنًا مثلاً ثم انتبه فصلَّى من قبل أن يذكر أو يتطهَّر، فإنَّ الصَّلاة تجزئه في حل العقد كلها لأنها تستلزم الطهارة وتتضمَّن الذكر.

وعلى هذا فيكون معنى قوله: «فإذا صلَّى انحلَّت العقد كلها»، إن كان المراد به من لا يحتاج إلى الوضوء فظاهر، وإن كان من يحتاج إليه فالمعنى انحلَّت بكلِّ عقدةٌ أو انحلَّت عقده كلها بانحلال الأخيرة التي بها يتمّ انحلال العقد.

وفي رواية الإمام أحمد: «فإن قام فذكر الله انحلت واحدة، فإن قام فتوضأ أطلقت الثانية، فإن صلى أطلقت الثالثة»، وهذا محمول على الغالب وهو من ينام مضطجعًا فيحتاج إلى تجديد الطهارة عند استيقاظه فيكون لكل فعل عقدة يحلّها.

**قوله**: «**طيب النفس**»، يقول الحافظ ابن حجر[1]: والذي يظهر أنَّ في صلاة الليل سرًّا في طيب النفس وإن لم يستحضر

---

(١) فتح الباري ٣/ ٣٥.

المصلِّي شيئًا مما ذكر، وكذا عكسه، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾[1]، وقد استنبط بعضهم منه أنَّ من فعل ذلك مرة ثم عاد إلى النوم لا يعود إليه الشيطان بالعقد المذكورة ثانيًا، واستثنى بعضهم ــ ممَّن يقوم ويذكر ويتوضَّأ ويصلِّي ــ من لم ينهه ذلك عن الفحشاء بل يفعل ذلك من غير أن يقلع. والذي يظهر: فيه التفصيل بين من يفعل ذلك مع الندم والتوبة والعزم على الإقلاع وبين المُصِرّ.

**وقوله: «وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»**، أي: بتركه ما كان اعتاده أو أراده من فعل الخير، ومقتضى قوله: «وإلا أصبح»، أنه إن لم يجمع الأمور الثلاثة دخل تحت من يصبح خبيثًا كسلان، وإن أتى ببعضها وهو كذلك، لكن يختلف ذلك بالقوَّة والخفَّة، فمن ذكر الله مثلاً كان في ذلك أحق ممن لم يذكر أصلاً.

وقال ابن عبد البر: هذا الذمّ يختص بمن لم يقم إلى صلاته وضيَّعها، أما من كانت عادته القيام إلى الصلاة المكتوبة أو إلى النافلة بالليل فغلبته عينه فنام، فقد ثبت أنَّ الله يكتب له أجر صلاته ونومه عليه صدقة. وقال أيضًا: زعم قوم أنَّ هذا الحديث يعارضه قوله ﷺ: «لا يقولن أحدكم خبثت نفسي»!! وليس كذلك؛ لأنَّ النهي إنما ورد عن إضاعة المرء ذلك إلى

---

(١) سورة المزمل: الآية ٦.

نفسه كراهة لتلك الكلمة، وهذا الحديث وقع ذمًّا لفعله ولكل من الحديثين وجه.

وقال الباجي: ليس بين الحديثين اختلاف؛ لأنه نهى عن إضافة ذلك إلى النفس ــ لكون الخبث بمعنى فساد الدِّين ــ ووصف بعض الأقوال بذلك تحذيرًا منها وتنفيرًا.

يقول ابن حجر[1]: تقرير الإشكال أنه ﷺ نهى عن إضافة ذلك إلى النفس، فكل ما نُهي المؤمن أن يضيفه إلى نفسه نُهي أن يضيفه إلى أخيه المؤمن، وقد وصف ﷺ هذا المرء بهذه الصفة فيلزم جواز وصفنا له بذلك لمحل التأسِّي، ويحصل الانفصال فيما يظهر بأنَّ النهي محمول على ما إذا لم يكن هناك حامل على الوصف بذلك كالتنفير والتحذير.

(١) فتح الباري ٣/ ٣٥.

# الحديث الحادي عشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له».

أخرجه البخاري في كتاب التهجُّد ـ باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل، وأخرجه في كتاب الدعوات ـ باب: الدعاء نصف الليل، وأخرجه في كتاب التوحيد ـ باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[1].

كما أخرجه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وأحمد بن حنبل.

وقد اختلف في معنى النزول على أقوال:

* فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته مجسمًا له، وهم المشبّهة تعالى الله عن قولهم.

* ومنهم من أنكر صحَّة الأحاديث الواردة في ذلك جملة، وهم الخوارج والمعتزلة، وهو مكابرة.

---

(١) سورة الفتح: الآية ١٥.

* ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمنًا به على طريق الإجمال، منزِّهًا الله تعالى عن الكيفية والتشبيه، وهم جمهور السَّلف.

* ومنهم من أوَّله على وجه يليق مستعمل في كلام العرب.

* ومنهم من أفرط في التأويل حتى كاد أن يخرج إلى نوع من التحريف.

* ومنهم من فصل بين ما يكون تأويله قريبًا مستعملاً في كلام العرب، وبين ما يكون مهجورًا؛ فأوّل في بعض وفوَّض في بعض، وهو منقول عن مالك.

وجزم به من المتأخِّرين ابن دقيق العيد. قال الحافظ ابن حجر: والحاصل أنَّه تأوّله بوجهين:

ـ إمَّا بأنَّ المعنى ينزل أَمْرُه أو المَلَكُ بأمره.

ـ وإمَّا بأنه استعارة بمعنى التلطُّف بالدَّاعين والإجابة لهم ونحوه.

قال البيضاوي: «ولمَّا ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزَّه عن الجسمية والتحيُّز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه، فالمراد نور رحمته، أي: ينتقل من مقتضى صفة الجلال التي تقتضي الغضب والانتقام إلى مقتضى صفة الإكرام التي تقتضي الرأفة والرحمة».

وقوله: «من يدعوني...»: لم تختلف الروايات على الزهري في الاقتصار على الثلاثة المذكورة، وهي:

- الدعاء،
- والسؤال،
- والاستغفار.

والفرق بين الثلاث: أنَّ المطلوب إمَّا لدفع المضار أو جلب المسار، وذلك إمَّا ديني وإمَّا دنيوي.

ففي الاستغفار إشارة إلى الأول، وفي السؤال إشارة إلى الثاني، وفي الدعاء إشارة إلى الثالث.

وقال الكرماني: «يحتمل أن يقال: الدعاء ما لا طلب فيه نحو: يا الله. والسؤال: الطلب. أو أن يقال: المقصود واحد وإن اختلف اللفظ».

وزاد سعيد عن أبي هريرة: «هل من تائب فأتوب عليه»، وزاد أبو جعفر عنه: «من ذا الذي يسترزقني فأرزقه، من ذا الذي يستكشف الضرّ فأكشف عنه»، وزاد عطاء مولى أم صبية عنه: «ألا سقيم يستشفي فيشفى».

وفيه: تحريض على الطاعة، خصوصًا الصلاة بالليل، وإشارة إلى جزيل الثواب عليها.

وفيه: تفضيل صلاة آخر الليل على أوله، وتفضيل تأخير الوتر، لكن ذلك في حق من طمع أن ينتبه، وأنَّ آخر الليل

أفضل للدُّعاء والاستغفار، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾[1]، وأنَّ الدُّعاء في ذلك الوقت مجاب، ولا يعترض على ذلك بتخلُّفه عن بعض الدَّاعين؛ لأنَّ سبب التخلُّف وقوع الخلل في شرط من شروط الدعاء كالاحتراز في المطعم والمشرب والملبس، أو لاستعجال الداعي، أو بأن يكون الدعاء بإثم أو قطيعة رحم، أو تحصل الإجابة ويتأخَّر وجوب المطلوب لمصلحة العبد أو لأمر يريده الله تعالى.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٧.

# الحديث الثاني عشر

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلة فقال: «ألا تصليان؟»، فقلت: يا رسول الله، أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا. فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلي شيئًا، ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه وهو يقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾[1].

أخرجه البخاري في كتاب التفسير ــ باب: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة ــ باب: قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾، وقوله تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[2]، وأخرجه في كتاب التوحيد ــ باب: قول الله تعالى: ﴿تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾[3]، ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[4]، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[5].

---

(١) سورة الكهف: الآية ٥٤.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٢٦.

(٤) سورة الكهف: الآيتان ٢٣، ٢٤.

(٥) سورة القصص: الآية ٥٦.

قال سعيد بن المسيب عن أبيه: نزلت في أبي طالب: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[1].

وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب: ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح.

وأخجه النسائي في كتاب الصلاة.

قال ابن بطال: فيه فضيلة صلاة الليل وإيقاظ النائمين من الأهل والقرابة لذلك.

ووقع في رواية حكيم بن حكيم: «ودخل النبي ﷺ علي وعلى فاطمة من الليل فأيقظنا للصلاة، ثم رجع إلى بيته فصلَّى من الليل فلم يسمع لنا حسًّا. فرجع إلينا فأيقظنا...» الحديث.

قال الطبري: لولا ما علم النبي ﷺ من عظم فضل الصلاة في الليل ما كان يزعج ابنته وابن عمه في وقت جعله الله لخلقه سكنًا، لكنه اختار لهما إحراز تلك الفضيلة على الدعة والسكون امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ...﴾ الآية[2])[3].

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٢) سورة طه: الآية ١٣٢.

(٣) فتح الباري ٣/ ١٦.

# الحديث الثالث عشر

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على رسول الله ﷺ، فتمنَّيت أن أرى رؤيا فأقصها على رسول الله ﷺ، وكنت غلامًا شابًّا، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ، فرأيت في النوم ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان وإذا فيها أناس قد عرفتهم فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، قال: فلقينا ملك آخر فقال لي: لم ترع، فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلِّي من الليل»، فكان بعد لا ينام من الليل إلاَّ قليلاً.

رواه البخاري في عدة مواضع من صحيحه: رواه في كتاب التهجُّد ــ باب: فضل قيام الليل، وفي باب: فضل من تعار من الليل فصلى.

ورواه في كتاب المناقب ــ باب: مناقب عبد الله بن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنهما.

ورواه في كتاب التعبير ــ باب: الاستبرق ودخول الجنة في المنام، وفي باب: الأخذ على اليمين في النوم.

وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ــ باب: من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

يقول الحافظ ابن حجر: إنَّ من كان يصلِّي من الليل يوصف بكونه نعم الرجل. وفي رواية نافع عن ابن عمر في التعبير: «إن عبد الله رجل صالح، لو كان يصلي من الليل»[1]، والصالح: هو القائم بحقوق الله تعالى وحقوق العباد[2].

قال القرطبي: إنَّما فسَّر الشارع من رؤيا عبد الله ما هو ممدوح، لأنَّه عُرض على النار ثم عوفي منها، وقيل له: لا روع عليك، وذلك لصلاحه غير أنه لم يكن يقوم من الليل، فحصل لعبد الله من ذلك تنبيه على أنَّ قيام الليل مما يتَّقي به النار والدنوِّ منها، فلذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك.

قال الإمام النووي في قوله ﷺ: «نعم الرجل عبد الله، لو كان يصلي من الليل»، فيه فضيلة صلاة الليل[3].

(١) فتح الباري ٣/ ١٠.

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم ١٦/ ٣٨.

(٣) المصدر السابق ١٦/ ٣٩.

# الحديث الرابع عشر

عن أسيد بن حضير رضي الله عنه قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده إذ جالت الفرس، فسكت فسكنت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت فسكنت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريبًا منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجترّه رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال له: «اقرأ يابن حضير، اقرأ يابن حضير». قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى، وكان منها قريبًا، فرفعت رأسي فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها. قال: «وتدري ما ذاك؟»، قال: لا، قال: «تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم».

أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ــ باب: نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن.

ويُستفاد منه أنَّ المتهجِّد بالقرآن بالليل تنزل السكينة والملائكة عند قراءته.

والسكينة: بمهملة، وزن عظيمة، وحكى ابن قرقول والصغاني فيها كسر أولها والتشديد بلفظ المرادف للمدية، وقد نسبه ابن قرقول للحربي وأنه حكاه عن بعض أهل اللغة.

وتقرر لفظ السكينة في القرآن والحديث.

وروى الطَّبري وغيره عن علي قال: هي ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان، وقيل: لها رأسان، وعن مجاهد: لها رأس كرأس الهر، وعن الربيع بن أنس: لعينها شعاع، وعن السدِّي: السكينة طست من ذهب من الجنة يغسل فيها قلوب الأنبياء، وعن أبي مالك قال: هي التي ألقى فيها موسى الألواح والتوراة والعصا، وعن وهب بن منبه: هي روح من الله، وعن الضحاك ابن مزاحم قال: هي الرحمة، وعنه: هي سكون القلب وهذا اختيار الطبري، وقيل: هي الطمأنينة، وقيل: الوقار، وقيل: الملائكة، ذكره الصغاني.

والذي يظهر أنَّها مقولة بالاشتراك على هذه المعاني، فيحمل كل موضع وردت فيه على ما يليق به.

وقال النووي: المختار أنها شيء من المخلوقات فيه طمأنينة ورحمة ومعه الملائكة.

**وقوله: (بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة)**: في رواية ابن أبي ليلى عن أُسيد بن حضير: (**بينما** أنا أقرأ سورة، فلما انتهيت إلى آخرها) أخرجه أبو عبيد، ويُستفاد منه أنه ختم السورة التي ابتدأ بها.

ووقع في رواية إبراهيم بن سعد: (بينما هو يقرأ في مربده)، أي: في المكان الذي فيه التمر.

وفي رواية أُبَيِّ بن كعب: أنه كان يقرأ على ظهر بيته.

وفي رواية أخرى: أنَّ أُسيد بن حضير كان يقرأ سورة الكهف.

يقول الحافظ ابن حجر: وهذا ظاهره التعدُّد، وقد وقع قريب من القصة التي لأسيد لثابت بن قيس بن شماس، لكن في سورة البقرة أيضًا، وأخرج أبو داود من طريق مرسلة قال: قيل للنبي ﷺ: «ألم تر ثابت بن قيس لم تزل داره البارحة تزهر بمصابيح، قال: فلعله قرأ سورة البقرة، فسئل قال: قرأت سورة البقرة».

ويحتمل أن يكون قرأ سورة البقرة وسورة الكهف جميعًا أو من كل منهما[1].

**قوله: (إذ جالت الفرس فسكت فسكنت)**: في رواية إبراهيم بن سعد أنَّ ذلك تكرَّر ثلاث مرار وهو يقرأ، وفي رواية ابن أبي ليلى: (سمعت رجَّة من خلفي حتى ظننتُ أنَّ فرسي تنطلق).

**قوله: (رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها)**: قال ابن حجر: كذا فيه باختصار، وقد أورده أبو عبيد كاملاً ولفظه:

---

(١) فتح الباري ٩/ ٧٢.

(رفع رأسه إلى السماء فإذا هو بمثل الظلة فيها أمثال المصابيح عرجت إلى السماء حتى ما يراها). وفي رواية إبراهيم بن سعد: (فقمت إليها فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج، فعرجَتْ في الجو حتى ما أراها)[1].

طقوله: «اقرأ يا ابن حضير»: أي كان ينبغي أن تستمر على قراءتك، وليس أمر بالقراءة في حالة التحديث، وكأنه استحضر صورة الحال فصار كأنه حاضر عنده لما رأى ما رأى، فكأنه يقول: استمر على قراءتك لتستمر لك البركة بنزول الملائكة واستماعها لقراءتك، وفهم أُسيد ذلك فأجاب بعذره في قطع القراءة وهو قوله: (خفت أن تطأ يحيى)، أي: خشيت إن استمرَّيت على القراءة أن تطأ الفرس ولدي.

ودلَّ سياق الحديث على محافظة أُسيد على خشوعه في صلاته؛ لأنَّه كان يمكنه أوَّل ما جالت الفرس أن يرفع رأسه، وكأنه كان بلغه حديث النهي عن رفع المصلي رأسه إلى السماء، فلم يرفعه حتى اشتدَّ به الخطب، ويحتمل أن يكون رفع رأسه بعد انقضاء صلاته، فلهذا تمادى به الحال ثلاث مرات.

**وقوله: «دنت لصوتك»**: في رواية إبراهيم بن سعد: «تستمع لك»، وفي رواية ابن كعب: (وكان أُسيد حسن الصوت)، وفي رواية يحيى بن أيوب عن يزيد بن الهاد، عن

---

(١) فتح الباري ٩/ ٨١.

الإسماعيلي: «اقرأ أسيد فقد أوتيت من مزامير آل داود».

**قوله: «ما يتوارى منهم»**: في رواية إبراهيم بن سعد: «ما تستتر منهم»، وفي رواية ابن أبي ليلى: «لرأيت الأعاجيب».

قال النووي: في هذا الحديث جواز رؤية أحاد الأمة للملائكة. قال ابن حجر: كذا أطلق وهو صحيح، لكن الذي يظهر التقييد بالصالح مثلاً والحسن الصوت، قال: وفيه فضيلة القراءة، وأنها سبب نزول الرحمة وحضور الملائكة.

قال ابن حجر: الحكم المذكور أعمّ من الدليل، فالذي في الرواية إنما نشأ عن قراءة خاصة من سورة خاصة بصفة خاصة، ويحتمل من الخصوصية ما لم يذكر، وإلاَّ لو كان على الإطلاق لحصل ذلك لكل قارىء.

وقد أشار في آخر الحديث بقوله: «ما يتوارى منهم»، إلى أنَّ الملائكة لاستغراقهم في الاستماع كانوا يستمرون على عدم الاختفاء الذي هو من شأنهم. وفيه منقبة لأسيد بن حضير، وفضل قراءة سورة البقرة في صلاة الليل[1].

وقد وردت آثار تدل على حضور الملائكة لاستماع قراءة المتهجِّد بالليل، منها ما رواه ابن أبي الدنيا عن عباد بن كثير، قال: للمصلِّي ثلاث: تحف به الملائكة من قدميه إلى عنان

---

(١) فتح الباري ٩/ ٨١.

السماء، ويتناثر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه، وينادي منادٍ: لو يعلم المصلِّي من يناجي ما انفتل[1].

وقد ورد حديث مرفوع لعلي بن أبـي طالب أخرجه ابن المبارك في الزُّهد[2]، وعبد الرزاق في المصنف[3]، وابن أبـي شيبة في المصنف[4]، والبيهقي في شعب الإيمان[5]، بلفظ: «إن الرجل إذا قام يصلي دنا الملك يستمع القرآن فما زال يدنو منه حتى يضع فاه على فيه فما يلفظ من آية إلا وقعت في جوف الملك»، وإسناده صحيح.

وذكر ابن الجوزي عن كرز بن وبرة قال: بلغني أنَّ كعبًا قال: إنَّ الملائكة ينظرون من السماء إلى الذين يصلون بالليل في بيوتهم كما تنظرون أنتم إلى نجوم السماء»[6].

وقد جاء في بعض الأخبار أنَّ سكان الدار من الجن يستمعون للمتهجِّد بالليل، وهذه نماذج من أخبارهم، فعن السري بن يحيى يذكر عن يزيد الرقاشي أنَّ صفوان بن محرز المازني كان إذا قام إلى تهجُّده من الليل قام معه سكَّان داره من

---

(١) التهجُّد وقيام الليل ص ١٣٠.

(٢) ص ٤٣٦ (ح رقم ١٢٢٤).

(٣) في كتاب الصلاة ــ باب: حسن الصوت ٢/ ٤٨٧.

(٤) في كتاب الطهارات ــ باب: ما ذكر في السواك ١/ ١٥٦.

(٥) ٢/ ٣٨١ (ح رقم ٢١١٦).

(٦) صفة الصفوة ٥/ ١٧٤.

الجن فصلوا بصلاته واستمعوا لقراءته، قال السري: فقلت ليزيد: وأنَّى علم ذلك؟ قال: كان إذا قام سمع لهم ضجَّة فاستوحش لذلك فنودي: لا ترع يا أبا عبد الله، فإنما نحن إخوانك نقوم للتهجُّد كما تقوم، فنصلِّي بصلاتك، قال: فكأنه أنس بعد ذلك إلى حركتهم[1].

وقال مهدي بن ميمون[2]: كان واصل مولى أبي عيينة جارًا لنا، وكان يسكن في غرفة فكنت أسمع قراءته من الليل، وكان لا ينام من الليل إلَّا يسيرًا، قال: فغاب غيبة إلى مكة فكنت أسمع القراءة من غرفته على نحو من صوته كأني لا أنكر من الصوت شيئًا، قال: وباب الغرفة مغلق، قال: فلم نلبث أن قدم من سفره، فذكرت ذلك له فقال: وما أنكرت من ذلك؟ هؤلاء سكان الدار يصلون بصلاتنا ويستمعون لقراءتنا، قال: قلت: أفتراهم؟ قال: لا ولكني أحس بهم وأسمع تأمينهم عند الدعاء وربما غلب علي النوم فيوقظوني[3].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في التهجُّد ص ٢٩١، وفي كتاب الهواتف ص ٩٢، والمروزي في قيام الليل ص ١٢٤، والشبلي في آكام المرجان ص ٧٠، والسيوطي في لفظ المرجان ص ٦٢، وابن الجوزي في صفة الصفوة ٤/ ٣٥٨.

(٢) الأزدي المعولي، أبو يحيى البصري، ثقة (١٧٢هـ). (التهذيب ١٠/ ٣٢٦).

(٣) صفة الصفوة ٤/ ٣٥٨، وتهذيب التهذيب ١١/ ١٠٦.

وروى خلف بن تميم الكوفي[1]: كان فتى من أهل الكوفة متعبد يقال له عرفجة، وكان يحيي الليل صلاة، قال: فاستزاره بعض إخوانه ذات ليلة فاستأذن أمه في زيارته فأذنت له، قالت العجوز: فلما كان من الليل إذا أنا في منامي برجال قد وقفوا علي فقالوا: يا أم عرفجة، لم أذنت لإمامنا الليلة[2].

وقال أبو عمران التمَّار: غدوت يومًا قبل الفجر إلى مسجد الحسن الجفري، فإذا باب المسجد مغلق، وإذا حسن جالس يدعو، وإذا ضجَّة في المسجد، وجماعة يؤمِّنون على دعائه وحسن يدعو، قال: فجلست على باب المسجد حتى فرغ من دعائه ثم قام فأذن وفتح باب المسجد، فدخلت فلم أر في المسجد أحدًا، فلمَّا أصبح وتفرَّق من عنده قلت له: يا أبا سعيد، إني والله رأيت عجبًا، قال: وما رأيت؟ فأخبرته بالذي رأيت وسمعت فقال: أولئك جن من أهل نصيبين يجيئون فيشهدون معي ختم القرآن كل ليلة جمعة ثم ينصرفون[3].

وعن عبد العزيز بن سلمان العابد قال: كان أبي إذا قام من الليل يتهجَّد سمعت في الدار جلبة شديدة واستقاء للماء كبير

---

(١) نزيل المصيصة، صدوق عابد، قال أبو حاتم: ثقة صالح الحديث، وذكره ابن حبان في الثقات ٨/ ٢٢٨، وقال: «كان من العباد الخشن».

(٢) التهجُّد وقيام الليل لابن أبي الدنيا ص ٢٩٢، صفة الصفوة ٣/ ١١٩.

(٣) صفة الصفوة ٣/ ٢٤٥.

قال: فنرى أنَّ الجن كانوا يستيقظون لتهجُّده فيصلُّون معه[1].

وقال محمد بن قيس: بلغني أنَّ العبد إذا قام من الليل للصلاة هبطت عليه الملائكة تستمع لقراءته، واستمعَ له عمار الدار وسكان الهواء، فإذا فرغ من صلاته وجلس في الدعاء أحاطت به الملائكة تؤمن على دعائه، فإن هو اضطجع بعد ذلك نودي: نم قرير العين مسرورًا، فخير نائم على خير عمل[2].

(١) حلية الأولياء ٦/ ٢٤٥.

(٢) المروزي في قيام الليل ص ٥٣.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

# الحديث الخامس عشر

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سأل رجل النبي ﷺ وهو على المنبر: ما ترى في صلاة الليل؟ قال: «مثنى مثنى، فإذا خشي الصبح صلَّى واحدة فأوترت له ما صلَّى»، وإنه كان يقول: اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا، فإن النبي ﷺ أمر به.

أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ــ باب: الحِلق والجلوس في المسجد[1].

وأيضًا في كتاب التهجُّد ــ باب: كيف صلاة النبي ﷺ وكم كان النبي ﷺ يصلِّي من الليل[2]، وأخرجه في مواضع أخرى من صحيحه.

**قوله: (سأل رجل)**: يقول الحافظ ابن حجر[3]: «لم أقف على اسمه، ووقع في المعجم الصغير للطبراني أنَّ السائل هو ابن عمر، لكن يعكر عليه رواية عبد الله بن شقيق عن ابن

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٧٢٦ من فتح الباري.

(٢) المصدر نفسه ٣/ ٢٧.

(٣) فتح الباري ٢/ ٦١٦.

عمر أنَّ رجلاً سأل النبي ﷺ وأنا بينه وبين السائل. . .» فذكر الحديث، وفيه: (ثم سأله رجل على رأس الحول وأنا بذلك المكان منه).

وعند النسائي من هذا الوجه أنَّ السائل المذكور من أهل البادية، وعند محمد بن نصر في كتاب «أحكام الوتر» عن ابن عمر أنَّ أعرابيًّا سأل، فيحتمل أن يجمع بتعدُّد من سأل.

**وقوله: (عن صلاة الليل)**: في رواية أيوب عن نافع في باب الحلق في المسجد: (أنَّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ وهو يخطب فقال: كيف صلاة الليل؟)، ونحوه في رواية سالم عن أبيه في أبواب التطوُّع. وقد تبيَّن من الجواب أنَّ السؤال وقع عن عددها أو عن الفصل والوصل. وفي رواية محمد بن نصر من طريق أيوب، عن نافع، عن ابن عمر قال: (قال رجل: يا رسول الله، كيف تأمرنا أن نصلِّي من الليل).

واستدلَّ بمفهومه على أنَّ الأفضل في صلاة النهار أن تكون أربعًا وهو عن الحنفية وإسحاق، وتعقَّب بأنه مفهوم لقب وليس بحجة على الراجح، وعلى تقدير الأخذ به فليس بمنحصر في أربع، وبأنه خرج جوابًا للسؤال عن صلاة الليل، فقيد الجواب بذلك مطابقة للسؤال، وبأنه قد تبيَّن من رواية أخرى أنَّ حكم المسكوت عنه حكم المنطوق به.

ففي السنن وصحَّحه ابن خزيمة وغيره من طريق علي

الأزدي عن ابن عمر مرفوعًا: «صلاة الليل والنهار مثنى مثنى»، وقد تعقب هذا الأخير بأنَّ أكثر أئمة الحديث أعلّوا هذه الزيادة، وهي قوله: (والنهار)، بأنَّ الحفَّاظ من أصحاب ابن عمر لم يذكروها عنه، وحكم النسائي على راويها بأنه أخطأ فيها، وقال يحيى بن معين: مَن علي الأزدي حتى أقبل منه؟

وادَّعى يحيى بن سعيد الأنصاري عن نافع، أنَّ ابن عمر كان يتطوَّع بالنهار أربعًا لا يفصل بينهن، ولو كان حديث الأزدي صحيحًا لما خالفه ابن عمر، يعني مع شدَّة اتِّباعه، رواه عنه محمد بن نصر في سؤالاته، لكن روى ابن وهب بإسناد قوي عن ابن عمر قال: «صلاة الليل والنهار مثنى مثنى»، موقوف أخرجه ابن عبد البر من طريقه، فلعلَّ الأزدي اختلط عليه الموقوف بالمرفوع فلا تكون هذه الزيادة صحيحة على طريقة من يشترط في الصحيح أن لا يكون شاذًّا.

**وقوله**: «**مثنى مثنى**»، أي: اثنين اثنين، وقد فسَّره ابن عمر راوي الحديث، فعند مسلم من طريق عقبة بن حريث قال: قلت لابن عمر: ما معنى مثنى مثنى؟ قال: تسلِّم من كل ركعتين، وفيه رد على من زعم من الحنفية أنَّ معنى مثنى أن يتشهَّد بين كل ركعتين؛ لأنَّ راوي الحديث أعلم بالمراد به، وما فسَّره به هو المتبادر إلى الفهم؛ لأنه لا يقال في الرباعية مثلاً: إنها مثنى.

واستدل بهذا على تعيين الفصل بين كل ركعتين من صلاة الليل، قال ابن دقيق العيد: وهو ظاهر السياق لحصر المبتدأ في الخبر، وحمله الجمهور على أنه لبيان الأفضل؛ لما صحَّ من فعله ﷺ بخلافه، ولم يتعيَّن أيضًا كونه لذلك، بل يتحمَّل أن يكون للإرشاد إلى الأخف، إذ السلام بين كل ركعتين أخف على المصلِّي من الأربع فما فوقها؛ لما فيه من الراحة غالبًا وقضاء ما يعرض من أمر مهم، ولو كان الوصل لبيان الجواز فقط لم يواظب عليه النبي ﷺ.

ومن ادَّعى اختصاصه به فعليه البيان، وقد صحَّ عنه ﷺ الفصل، كما صحَّ عنه الوصل، فعند أبي داود ومحمد بن نصر، من طريقي الأوزاعي وابن أبي ذئب، كلاهما عن الزهري، عن عروة، عن عائشة: (أنَّ النبي ﷺ كان يصلِّي ما بين أن يفرغ من العشاء إلى الفجر إحدى عشرة ركعة يسلم من كل ركعتين)، وإسنادهما على شرط الشيخين.

واستدلَّ به أيضًا على عدم النقصان عن ركعتين في النافلة ما عدا الوتر، قال ابن دقيق العيد: والاستدلال به أقوى من الاستدلال بامتناع قصر الصبح في السفر إلى ركعة؛ يشير بذلك إلى الطحاوي، فإنه استدلَّ على منع التنفُّل بركعة بذلك، واستدلَّ بعض الشافعية للجواز بعموم قوله ﷺ: «الصلاة خير موضوع، فمن شاء استكثر ومن شاء استقل»، صحَّحه ابن حبان.

وقد اختلف السلف في الفصل والوصل في صلاة الليل أيّهما أفضل، وقال الأثرم عن أحمد: الذي أختاره في صلاة الليل مثنى مثنى، فإن صلَّى بالنهار أربعًا فلا بأس. وقال محمد بن نصر نحوه في صلاة الليل. قال: وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه أوتر بخمس لم يجلس إلَّا في آخرها. . إلى غير ذلك من الأحاديث الدالَّة على الوصل، إلَّا أنَّا نختار أن يسلم من كل ركعتين لكونه أجاب به السائل، ولكون أحاديث الفصل أثبت وأكثر طرقًا.

وقوله: «**فإذا خشي أحدكم الصبح**»: استدلَّ به على خروج وقت الوتر بطلوع الفجر، وأصرح منه ما رواه أبو داود والنسائي وصححه أبو عوانة وغيره من طريق سليمان بن موسى عن نافع، أنَّه حدثه أنَّ ابن عمر كان يقول: (من صلَّى من الليل فليجعل آخر صلاته وترًا، فإن رسول الله ﷺ كان يأمر بذلك، فإذا كان الفجر فقد ذهب كل صلاة الليل والوتر).

وفي صحيح ابن خزيمة من طريق قتادة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد مرفوعًا: «من أدركه الصبح ولم يوتر فلا وتر له». وهذا محمول على التعمُّد أو على أنه لا يقع أداء؛ لما رواه أبو داود من حديث أبي سعيد أيضًا مرفوعًا: «من نسي الوتر أو نام عنه فليصله إذا ذكره»، وقيل: معنى قوله: «إذا خشي أحدكم الصبح» ـ أي: وهو في شفع فلينصرف على وتر ـ، وهذا ينبني على أنَّ الوتر لا يفتقر إلى نية.

وحكى ابن المنذر عن جماعة من السَّلف أنَّ الذي يخرج بالفجر وقته الاختياري ويبقى وقت الضرورة إلى قيام صلاة الصبح، وحكاه القرطبي عن مالك والشافعي وأحمد، وإنما قاله الشافعي في القديم.

وقال ابن قدامة: لا ينبغي لأحد أن يتعمَّد ترك الوتر حتى يصبح.

## الحديث السادس عشر

**عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يصلِّي من الليل ثلاث عشرة ركعة، منها الوتر وركعتا الفجر.**

رواه البخاري في كتاب التهجُّد ـ باب: كيف صلاة النبي ﷺ، وكم كان النبي ﷺ يصلي من الليل[1].

وفي رواية مسلم من هذا الوجه: (كانت صلاته عشر ركعات ويوتر بسجدة ويركع ركعتي الفجر، فتلك ثلاث عشرة).

فأما ما أجابت به مسروقًا في الحديث الذي رواه البخاري[2] عن مسروق قال: (سألت عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل، فقالت: سبع وتسع وإحدى عشرة سوى ركعتي الفجر)، فمرادها أنَّ ذلك وقع منه في أوقات مختلفة، فتارة كان يصلِّي سبعًا وتارة يصلِّي تسعًا وتارة إحدى عشر.

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ٢٧ من فتح الباري.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ٢٧ من فتح الباري.

أما حديث القاسم بن محمد عن عائشة فمحمول على أنَّ ذلك كان غالب حاله.

وفي رواية أبـي سلمة عنها، أنَّ ذلك كان أكثر ما يصلِّيه في الليل.

وهذه الرواية في صحيح البخاري في كتاب التهجُّد ـ باب: قيام النبـي ﷺ في رمضان وغيره، فعن أبـي سلمة: أنه سأل عائشة رضي الله عنها: كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟

فقالت: ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة: يصلِّي أربعًا، فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلِّي أربعًا فلا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثًا.

قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، أتنام قبل أن توتر؟ فقال: «يا عائشة، إن عيني تنامان ولا ينام قلبـي»[1].

قال القرطبـي: أشكلت روايات عائشة على كثير من أهل العلم حتى نسب بعضهم حديثها إلى الاضطراب، وهذا إنما يتم لـو كـان الـراوي عنهـا واحـدًا أو أخبـرت عـن وقـت واحـد، والصواب أنَّ كل شيء ذكرته من ذلك محمول على أوقات متعددة وأحوال مختلفة بحسب النشاط، والله أعلم.

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ٤٢ من فتح الباري.

يقول الحافظ ابن حجر: وظهر لي أنَّ الحكمة في عدم الزيادة على إحدى عشرة أنَّ التهجُّد والوتر مختص بصلاة الليل، وفرائض النهار: الظهر وهي أربع، والعصر وهي أربع، والمغرب وهي ثلاث وتر النهار؛ فناسب أن تكون صلاة الليل كصلاة النهار في العدد جملةً وتفصيلاً. وأما مناسبة ثلاث عشرة فبضم صلاة الصبح لكونها نهارية إلى ما بعدها[1].

(١) فتح الباري ٣/ ٢٨.

# الحديث السابع عشر

**عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يفطر من الشهر حتى نظن أن لا يصوم منه، ويصوم حتى نظن أن لا يفطر منه شيئًا. وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصلِّيًا إلَّا رأيته، ولا نائمًا إلَّا رأيته.**

هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ــ باب: قيام النبي ﷺ بالليل ونومه، وما نسخ من قيام الليل[1].

كما أخرجه في مواضع أخرى من صحيحه.

**وقوله: (وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصلِّيًا إلَّا رأيته، ولا نائمًا إلَّا رأيته)**: يقول ابن حجر: أي إنَّ صلاته ونومه، كان يختلف بالليل ولا يرتب وقتًا معينًا بل بحسب ما تيسَّر له القيام، ولا يعارضه قول عائشة: (كان إذا سمع الصارخ قام)، فإنَّ عائشة تخبر عمَّا لها عليه اطِّلاع، وذلك أنَّ صلاة الليل كانت تقع منه غالبًا في البيت، فخبر أنس محمول على ما وراء ذلك[2].

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ٢٩ من فتح الباري.

(٢) المصدر نفسه ١٣/ ٣.

## الحديث الثامن عشر

**عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: إن كان النبي ﷺ ليقوم ــ أو ليصلِّي ــ حتى ترم قدماه ــ أو ساقاه ــ ، فيقال له، فيقول: «أفلا أكون عبدًا شكورًا؟»**.

هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التهجُّد ــ باب: قيام النبي ﷺ؛ وفي كتاب التفسير ــ باب: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾؛ وفي كتاب الرقائق ــ باب: الصبر عن محارم الله.

وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين ــ باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في الطاعة.

والترمذي في سننه في كتاب الصلاة ــ باب: ما جاء في الاجتهاد في الصلاة؛ وفي الشمائل ــ باب: ما جاء في عبادة رسول الله ﷺ.

والنسائي في سننه، في كتاب قيام الليل وتطوُّع النهار ــ باب: إحياء الليل؛ وفي السنن الكبرى، في كتاب التفسير، وكتاب الرقائق كما في تحفة الأشراف[1].

---

(١) ٨/ ٤٧٦.

وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة ــ باب: ما جاء في طول القيام في الصلوات.

وابن خزيمة في صحيحه، في جماع أبواب التطوُّع بالليل ــ باب: استحباب الصلاة وطول القيام فيها.

والإمام أحمد في مسنده، وابن المبارك في كتاب الزهد ــ باب: ما جاء في فضل العبادة، وابن حبان في كتاب البرّ والصِّلة ــ باب: ذكر ما يستحب للمرء أن يقوم في أداء شكر الله.

**قوله: «حتى ترم»**: بفتح المثناة وكسر الراء وتخفيف الميم، بلفظ المضارع: من الورم. هكذا سُمِع وهو نادر. وفي رواية خلاد بن يحيى: (حتى ترم أو تنتفخ قدماه). وفي رواية أبي عوانة عن زياد عند الترمذي: (حتى انتفخت قدماه).

وللنسائي من حديث أبي هريرة: (حتى تزلع قدماه)، بزاي وعين مهملة، ولا اختلاف بين هذه الروايات: فإنه إذا حصل الانتفاخ أو الورم حصل الزلع والتشقُّق، والله أعلم.

**قوله: «فيقال له»**: لم يذكر المقول ولم يسم القائل.

وفي تفسير الفتح: (فقيل له: غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر)، وفي رواية أبي عوانة: (فقيل له: أتتكلف هذا؟)، وفي حديث عائشة: (فقالت له عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك)، وفي حديث أبي هريرة عند

البزار: (فقيل له: تفعل هذا وقد جاءك من الله أن قد غفر لك).

**قوله: «أفلا أكون»**، في حديث عائشة: «أفلا أحب أن أكون عبدا شكورًا»، وزادت فيه: (فلما كثر لحمه صلَّى جالسًا).

والفاء في قوله: «أفلا أكون» للسببية، وهي عن محذوف تقديره: أأترك تهجُّدي فلا أكون عبدًا شكورًا، والمعنى: أنَّ المغفرة سبب لكون التهجُّد شكرًا، فكيف أتركه؟؟.

قال ابن بطال: في هذا الحديث أخذ الإنسان على نفسه بالشدَّة في العبادة وإن أضرَّ ذلك ببدنه؛ لأنه ﷺ إذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن لم يعلم بذلك فضلاً عمَّن لم يأمن أنه استحق النار[1].

ومحل ذلك ما إذا لم يفض إلى الملال؛ لأنَّ حال النبي ﷺ كانت أكمل الأحوال، فكان لا يمل من عبادة ربه وإن أضرَّ ذلك ببدنه، بل صحَّ أنه قال: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»، كما أخرجه النسائي من حديث أنس، فأما غيره ﷺ فإذا خشي الملل لا ينبغي له أن يُكره نفسه، وعليه يحمل قوله ﷺ: «خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا».

---

(١) فتح الباري ٣/ ٢١.

وفيه: مشروعية الصلاة للشكر.

وفيه: أنَّ الشكر يكون بالعمل كما يكون باللسان كما قال الله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾[1].

وقال القرطبي: ظنَّ من سأله عن سبب تحمُّله المشقَّة في العبادة أنه إنما يعبد الله خوفًا من الذنوب وطلبًا للمغفرة والرحمة، فمن تحقَّق أنه غفر له لا يحتاج إلى ذلك. فأفادهم أنَّ هناك طريقًا آخر للعبادة، وهو الشكر على المغفرة وإيصال النعمة لمن لا يستحق عليه فيها شيئًا فيتعين كثرة الشكر على ذلك، والشكر: الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة، فمن كثر ذلك منه سُمِّي شكورًا، ومن ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾[2].

وفيه: ما كان عليه النبي ﷺ من الاجتهاد في العبادة والخشية من ربه، قال العلماء: إنما ألزم الأنبياء أنفسهم بشدَّة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله تعالى عليهم.

وأنه ابتدأهم بها قبل استحقاقها، فبذلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا بعض شكره، مع أنَّ حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد.

---

(١) سورة سبأ: الآية ١٣.

(٢) سورة سبأ: الآية ١٣.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قيل: أخرج البخاري هذا الحديث لينبِّه على أنَّ قيام جميع الليل غير مكروه ولا تعارضه الأحاديث الآتية بخلافه؛ لأنه يجمع بينها بأنه ﷺ لم يكن يداوم على قيام جميع الليل، بل كان يقوم وينام كما أخبر عن نفسه وأخبرت عنه عائشة أيضًا[1].

وهذه نماذج من المتهجِّدين والمتعبِّدين الذي اقتدوا برسول الله ﷺ في قيام الليل حتى تورَّمت أقدامهم، أذكرهم على سبيل الاختصار؛ إذ الإحاطة بأحوال جميع المتهجِّدين مما يقصر عنه البشر، إنما هو شأن خالق القوى والقدر.

## ذكر بعض الصحابة المتهجِّدين رضي الله تعالى عنهم أجمعين

ـ **منهم: عمر بن الخطاب** رضي الله عنه. قال ابن كثير في ترجمته: كان يصلِّي بالناس العشاء ثم يدخل بيته فلا يزال يصلِّي إلى الفجر»[2].

ـ **ومنهم:** صاحب الحياء والعرفان **عثمان بن عفان**، فعن محمد بن سيرين قال: قالت امرأة عثمان حين أطافوا به

---

(١) فتح الباري ٣/ ٢١.

(٢) البداية والنهاية ٧/ ١٣٥.

يريدون قتله: إن تقتلوه أو تتركوه فإنه كان يحيي الليل كله في ركعة يجمع فيها القرآن[1].

وعن جدَّة له يقال لها رهيمة، قالت: كان عثمان يصوم الدَّهر، ويقوم الليل إلاَّ هجعة من أوله[2].

ـ **ومنهم: علي بن أبي طالب**، فإنه كان يختم في اليوم ثمان ختمات كما ذكره بعض شرَّاح البخاري[3].

ـ **ومنهم: تميم بن أوس بن خارجة الداري**، صاحب خبر الدجَّال والجسَّاسة، حدَّثه النبي ﷺ عنه كما في سنن أبي داود وغيره.

قال أبو سعد السمعاني في كتاب الأنساب: كان تميم يختم القرآن في ركعة، وربما ردَّد الآية الواحدة الليل كله حتى الصباح، وكان من عبَّاد الصَّحابة وزهَّادهم ممَّن جانب أسباب العزّ، ولزم التخلِّي بالعبادة إلى أن مات.

قال مسروق التابعي الجليل: صلَّى تميم ليلة حتى أصبح يقرأ آية يردِّدها: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾[4].

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٥٦.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٦٥.

(٣) إقامة الحجة، للكنوي ٦٤.

(٤) سورة الجاثية: الآية ٢٠.

ـ ومنهم: **شداد بن أوس**، فعن أسد بن وداعة، عن شداد الأنصاري، أنه كان إذا دخل الفراش يتقلَّب على الفراش لا يأتيه النوم، فيقول: اللَّـهُمَّ إنَّ النار أذهبت عنِّي النوم، فيقوم فيصلِّي حتَّى يصبح[1].

ـ ومنهم: **عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما، فعن نافع أنَّ ابن عمر كان يحيي الليل صلاة ثم يقول: يا نافع، أسحرنا؟ فيقول: نعم. فيقعد ويستغفر الله ويدعو إلى الصبح. وكان ابن عمر إذا فاتته صلاة العشاء في جماعة أحيا بقيَّة ليلته.

ـ ومنهم: **عبد الله بن يزيد بن زيد بن حصين الأنصاري الخطمي**، صحابي صغير ولي الكوفة لابن الزبير، قال عنه الذهبي[2]: الأمير العالم الأكمل، عن مسعر قال: حدَّثني بعض آل عبد الله بن يزيد، أنَّ عبد الله بن يزيد كان لا ينام آخر أهل الدار حتى يقوم فيصلِّي، فكان يصلِّي حتى تنقع رجلاه في الماء الحار[3].

## ذكر بعض التابعين المتهجِّدين

ـ **أويس القرني**: عن أصبغ بن زيد قال: كان أويس القرني إذا أمسى يقول: هذه ليلة الركوع، فيركع حتى يصبح،

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٨٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ١٩٧.

(٣) التهجُّد، لابن أبي الدنيا ص ٢٨٤.

وكان إذا أمسى يقول: هذه ليلة السجود، فيسجد حتى يصبح[1].

ـ **مسروق بن الأجدع**: قال الذهبي: كان مسروق يصلِّي حتى تورم قدماه، وحجَّ فما نام إلاَّ ساجدًا[2].

وكان لمسروق ستر بينه وبين أهله، فيقبل على صلاته أو عبادته ويخلي بينهم وبين دنياهم[3].

وعن امرأة مسروق قالت: كان ـ تعني مسروقًا ـ يصلِّي حتى ترم قدماه فربما جلست خلفه أبكي مما أراه يصنع بنفسه[4]، وأخرج ابن المبارك في كتاب الزهد من طريق زائدة بن قدامة عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن امرأة مسروق بلفظ: «ما كان مسروق يوجد إلاَّ وساقاه قد انتفختا من طول الصلاة، قالت: والله إن كنت لأجلس خلفه أبكي رحمة له»[5].

ـ **علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب**: قال الذهبي: كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة إلى أن مات،

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٨٧.

(٢) العبر بأخبار من غبر ١/ ٦٨.

(٣) التهجُّد، لابن أبي الدنيا ص ٢٨٥.

(٤) الزُّهد، للإمام أحمد ص ٤٨٥.

(٥) الزُّهد، لابن المبارك ص ٣١ ـ ٣٢.

قال مالك: قال: وكان يسمَّى زين العابدين لعبادته[1].

ـ **سعيد بن المسيب**: روى عبد المنعم بن إدريس عن أبيه قال: صلَّى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة[2].

ـ **عروة بن الزبير بن العوام**: قال الذهبي[3]: كان يقرأ كل يوم ربع الختمة في المصحف، ويقوم الليل به فما تركه إلاَّ ليلة قطعت رجله[4].

---

(١) العبر ١/ ١١١.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ١٦٣.

(٣) العبر ١/ ١١٠.

(٤) وهناك رواية تقول: إنه لم يترك ورد تلك الليلة، وخلاصة الحادثة كما ذكرها المؤرِّخ ابن خلِّكان في ترجمته (وفيات الأعيان) ٢/ ٤١٩ ـ ٤٢٠: «أن عروة بن الزبير قدم من المدينة على الوليد بن عبد الملك في الشام، ومعه ولده محمد بن عروة، فدخل محمد دار الدواب فضربته دابة فخرَّ ميتًا.

ووقعت في رجل عروة الأكلة ـ الحكَّة والجرب ـ فقال له الوليد بن عبد الملك: اقطعها وإلاَّ أفسدت عليك جسدك، ولما دُعي الجزار ليقطعها قالوا له: نسقيك الخمر حتى لا تجد ألمًا، فقال: لا أستعين بحرام الله على ما أرجو من عافية، قالوا: فنسقيك المرقِّد ـ الدواء المنوم ـ، قال: ما أحب أن أسلب عضوًا من أعضائي وأنا لا أجد ألم ذلك فأحتسبه، ودخل عليه قوم فأنكرهم، فقال: ما هؤلاء؟ قالوا: يمسكونك، فإنَّ الألم ربما عزب معه الصبر، قال: أرجو أن =

ـ **عامر بن عبد الله بن قيس**: روى ابن وهب: أنَّ عامر بن عبد الله كان من أفضل العابدين، وفرض على نفسه في كل يوم ألف ركعة[1].

ـ **عمير بن هانىء**: عن مسلمة بن عمرو قال: كان عمير بن هانىء يصلِّي كل يوم ألف ركعة، ويسبِّح مئة ألف تسبيحة[2].

ـ **صلة بن أشيم**: ذكر موفق الدِّين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي في كتابه (الرقَّة والبكاء)[3]: عن حمَّاد بن جعفر بن زيد، أنَّ أباه أخبره قال: خرجنا في غزوة إلى كابل وفي الجيش صلة بن أشيم، فنزل الناس عند العتمة، فصلوا، ثم اضطجع، فقلت: لأرمقن عمله. فالتمس غفلة الناس، حتى إذا قلت: هدأت العيون، وثب فدخل غيضة قريبًا منه، ودخلت على أثره، فتوضأ ثم قام يصلِّي.

---

= أكفيكم ذلك من نفسي. فقطعت وهو يهلل ويكبِّر ولم يمسكه أحد، ثمَّ إنَّه أغلي له الزيت في مغارف الحديد فحسم به، فغشي عليه، فأفاق وهو يمسح العرق عن وجهه، وقال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾.

ولما رأى القدم بأيديهم دعا بها فقلبها في يده ثم قال: أما والذي حملني عليك إنه ليعلم أني ما مشيت بك إلى حرام.

(١) حلية الأولياء ٢/ ٨٨.

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب الدعاء ٥/ ٢٩٨.

(٣) ص ٢٩٢.

قال: وجاء أسد حتى دنا منه، قال: فصعدت في شجرة، قال: فتراه التفت أو عدَّ به جُرَذًا حتى سجد، فقلت: الآن يفترسه، فجلس ثم سلَّم ثم قال: أيُّها السبع اطلب الرزق في مكان آخر، فولى، وإن له لزئيرًا أقول تصدع الجبال منه، فما زال كذلك يصلِّي حتى لمَّا كان عند صبح جلس، فحمد الله، بمحامد لم أسمع بمثلها إلاَّ ما شاء الله، ثم قال: اللَّهُمَّ إني أسألك أن تجيرني من النار، أَوَمثلي يجترىء أن يسألك الجنة؟ قال: ثم رجع، فأصبح كأنه بات على الحشايا، وأصبحت وبي من الفترة شيء الله به عليم.

ـ **محمد بن واسع**: قال أبو الطيب موسى بن يسار: صحبت محمد بن واسع من مكة إلى البصرة، فكان يصلِّي الليل أجمع، يصلِّي في المحمِل جالسًا، يومىء برأسه إيماء، وربما عرَّس بالليل[1] فينزل فيصلي، فإذا أصبح أيقظ أصحابه رجلاً رجلاً، يجيء عليه فيقول: الصلاة، الصلاة[2].

ـ **مالك بن دينار**: عن المغيرة بن حبيب ختن مالك بن دينار قال: صلَّيت العشاء مع مالك، وجاء فأكل ثم قام إلى الصلاة، فاستفتح، ثم أخذ بلحيته فجعل يقول: إذا جمعتَ الأوَّلين والآخرين فَحَرِّم شيبة مالك على النار. فوالله ما زال

---

(١) التعريس: هو نزول المسافرين آخر الليل للاستراحة.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٣٤٦.

كذلك حتى غلبتني عيني ثمَّ انتبهت فإذا هو على تلك الحال، فما زال كذلك حتى طلع الفجر[1].

ـ **سليمان بن طرخان، أبو المعتمر**: عن ابن المبارك قال: أقام سليمان التيمي أربعين سنة إمام جامع البصرة، يصلِّي العشاء والصبح بوضوء واحد[2].

ـ **أبو حنيفة نعمان بن ثابت الكوفي**: روى أبو نعيم[3] وغيره: أنه صلَّى الصبح بوضوء العشاء أكثر من خمسين سنة، ولم يكن يضع جنبه إلى الأرض في الليل أبدًا، وإنما كان ينام لحظة بعد صلاة الظهر وهو جالس يقول: قال رسول الله ﷺ: «استعينوا على قيام الليل بالقيلولة»[4].

وفي «معدن اليواقيت الملتمعة في مناقب الأئمة الأربعة» لابن حجر الهيثمي، قال الشيخ العطَّار في التذكرة: إنَّ أبا حنيفة كان يصلِّي في كل ليلة ثلاث مئة ركعة، ومرَّ يومًا على جمع من الصبيان قال بعضهم لبعض: هذا يصلِّي في كل ليلة ألف ركعة،

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٣٦١.

(٢) حلية الأولياء ٣/ ٢٩.

(٣) المصدر نفسه ١/ ٧٥.

(٤) رواه ابن ماجه في سننه ١/ ٥٤٠، والحاكم في المستدرك ١/ ٤٢٥ عن ابن عباس، ولفظ الحديث بتمامه: «استعينوا بطعام السحر على صيام النهار، والقيلولة على قيام الليل».

ولا ينام بالليل، فقال أبو حنيفة: نويت أن أصلِّي في كل ليلة ألف ركعة، وأن لا أنام بالليل[1].

## ذكر مَن بعد التابعين من المتهجِّدين

ـ **مسعر بن كدام الهلالي الكوفي**: قال محمد بن مسعر: كان أبـي لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن.[2]

ـ **محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبـي وهب**: قال الذهبـي واليافعي في حوادث سنة مئة وتسع وخمسين. قال الواقدي: كان يصلِّي الليل أجمع، ويجتهد في العبادة، فلو قيل له: إنَّ القيامة تقوم غدًا؛ ما كان فيه مزيد من الاجتهاد[3].

ـ **شعبة بن الحجَّاج**: قال الهروي: رأيت شعبة يصلي حتى ترم قدماه[4].

ـ **محمـد بـن إدريـس الشـافعـي**: فـي تهـذيـب الأسمـاء واللغـات[5] للنـووي، قـال الـربيـع: نمـت فـي منـزل الشـافعـي ليالي، فلم يكن ينام إلاَّ يسيرًا من الليل.

---

(١) إقامة الحجة، للكنوي ص ٨٠.

(٢) تهذيب التهذيب ١٠/ ١١٥.

(٣) العبر ١/ ٢٣١، ومرآة الجنان ١/ ٣٤٠.

(٤) العبر ١/ ٢٢٥.

(٥) ١/ ٤٥.

ـ أحمد بن حنبل: عن عبد الله أحمد بن حنبل قال: كان أبـي يصلِّي في كل يوم وليلة ثلاث مئة ركعة، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته[1].

* * *

هذه جملة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم من الفقهاء والمحـدِّثيـن والأئمـة المجتهـديـن، اجتهـدوا فـي التعبُّـد غـايـة الاجتهاد، ففازوا بأعلى النصيب، وصاروا بحيث تنزل بذكرهم الرحمة وتندفع بسماع أخبارهم الزحمة. . جعلنا الله ممَّن اقتدى بهم واهتدى، وحشرنا معهم إلى الدرجات العُلى.

وقد أطلت في ذكر أخبارهم رغبة في الأجر، وتنشيطًا للسالكين، والله يتولَّى الصالحين.

❑ ❑ ❑

(١) مناقب الإمام أحمد، لابن الجزري ص ٣٢٨.

## الحديث التاسع عشر

**عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن في الليل لساعة، لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة، إلَّا أعطاه إياه وذلك كل ليلة».**

هذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب صلاة المسافرين ــ باب: في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء من طريق عثمان بن أبـي شيبة، عن جرير، به.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب الصلاة، فصل في قيام الليل.

وأخرجه الإمام أحمد في المسند من طريقين عن أبـي الزبير، عن جابر، به.

وأبو يعلى في المسند من طريق أبـي خيثمة عن جرير به، وأبو عوانة، والمروزي في قيام الليل من طرق عن الأعمش، به.

وقد تقدَّم في الحديث السابق فضيلة الدعاء في التهجُّد بالليل، وفي هذا الحديث فضيلة أخرى وهي الساعة الواردة في الليل التي إذا وافقها المتهجد بالليل، فسأل الله تعالى استجاب له.

## الحديث العشرون

**عن أبـي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل».**

رواه الإمام مسلم ــ باب: فضل صوم المحرم[1].

يقول الإمام النووي في معنى الحديث: فيه تصريح بأنه أفضل الشهور للصوم، وقد سبق الجواب عن إكثار النبـي ﷺ من صوم شعبان دون المحرم، وذكرنا فيه جوابين، أحدهما: لعله إنما علم فضله في آخر حياته، والثاني: لعله كان يعرض فيه أعذار من سفر أو مرض أو غيرهما.

وقوله ﷺ: «وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»، فيه دليل لما اتَّفق العلماء عليه أنَّ تطوُّع الليل أفضل من تطوُّع النهار، وفيه حجَّة لأبـي إسحاق المروزي من أصحابنا ومن وافقه أنَّ صلاة الليل أفضل السنن الراتبة، وقال: أكثر أصحابنا: الـرواتـب أفضـل لأنهـا تشبـه الفـرائـض، والأول أقـوى وأوفـق للحديث، والله أعلم[2].

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ٨٢١ (ح ١١٦٣).

(٢) شرح صحيح مسلم، للنووي ٨/ ٥٤ ــ ٥٥.

# الحديث الحادي والعشرون

**عن أبـي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبـي ﷺ قال: «إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ امرأته فصلَّيا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات».**

هذا الحديث أخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب إقامة الصلاة ــ باب: ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل، وابن حبان في صحيحه في كتاب الصلاة، فصل في قيام الليل من طريق الوليد بن مسلم، به.

وأخرجه أيضًا أبو داود في السنن، كتاب الصلاة ــ باب: قيام الليل، والنسائي في السنن الكبرى، والحاكم في المستدرك في كتاب صلاة التطوُّع، والبيهقي في السنن الكبرى في كتاب الصلاة ــ باب: الترغيب في قيام الليل، وفي شعب الإيمان من طريق عبيد الله بن موسى عن شيبان، به.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبـي.

وليس كذلك، فإنَّ الأغر أخرج له مسلم والأربعة فقط، ولم يخرج له البخاري في صحيحه.

وأخرجه أبو يعلى في مسنده من طريق محمد بن جابر، عن علي بن الأقمر به، ولم يذكر فيه أبا هريرة، ولا قوله: «وأيقظ امرأته. . . ».

وأخرجه أبو داود أيضًا موقوفًا على أبـي سعيد الخدري من طريق محمد بن كثير، عن سفيان الثوري، عن مسعر، عن ابن الأقمر به.

قال أبو داود: ولم يرفعه ابن كثير ولا ذكر أبا هريرة، جعله من كلام أبـي سعيد، وقال: رواه ابن مهدي عن سفيان قال: وأراه ذكر أبا هريرة.

وتابع محمد بن كثير زائدة بن قدامة عن أبـي الدنيا في التهجُّد وقيام الليل، فرواه زائدة عن سفيان فجعله موقوفًا على أبـي سعيد، ولم يذكر أبا هريرة.

وخرَّجه عبد الرزاق في المصنف في كتاب باب الصلاة من الليل، فرواه عن الثوري، عن علي بن الأقمر موقوفًا على أبـي سعيد.

وأخرجه المروزي في قيام الليل.

وصحَّحه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبـي داود[1]، وصحيح سنن ابن ماجه[2]، وصحيح الجامع[3].

---

(١) ١/ ٢٤٣ ـ ٢٧٢.

(٢) ١/ ٢٢٣.

(٣) ١/ ١٢٢.

**ويُستفاد من هذا الحديث**: أنَّ من أيقظ أهله للصلاة بالليل كتبا من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات.

وقد كان رسول الله ﷺ يوقظ أهله للصلاة بالليل خاصة في العشر الأواخر من رمضان.

عن علي رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ كان يوقظ أهله في العشر الأواخر من رمضان. والحديث صحيح أخرجه الترمذي في كتاب الصيام، ورواه الإمام أحمد في المسند، وأبو يعلى الموصلي، ورواه الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد[1].

وأخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد[2] عن هشام بن زياد قال: كان العلاء بن زياد رجلاً بسَّامًا يحيي كل ليلة جمعة، قال: فوجد ليلة فترة فنام وقال لأسماء: إذا كان ساعة كذا وكذا فأيقظيني، قالت: نعم، فأتاه آت في منامه فأخذ بناصيته فقال: يا ابن زياد، قم فاذكر الله يذكرك، قال: فما زالت تلك الشعرات قائمة حتى مات.

---

(١) ٣/ ١٧٤.

(٢) ص ٣٦٢ (ح رقم ١٤٣١)، من طريق سيار، وهو ابن حاتم العنزي عن جعفر وهو الضبعي عن هشام به.

## الحديث الثاني والعشرون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، إني إذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني، أنبئني عن كل شيء، قال: «كل شيء خلق من الماء»، فقلت: أخبرني بشيء إذا عملته دخلت الجنة، قال: «تطعم الطعام، وأفش السلام، وصل الأرحام، وصل بالليل والناس نيام، تدخل الجنة بسلام».

رواه أحمد[1]، وابن حبان[2]، والحاكم وصحَّح إسناده[3]، وأخرجه الحافظ الدمياطي في «المتجر الرابح»[4]، والمنذري[5].

ومعنى طابت نفسي: فرحت واستبشرت.

وقد تقدَّم شرح معانيه بلفظ آخر من رواية عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما[6].

---

(١) المسند ٢/ ٢٩٥، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٥/ ١٦: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح خلا أبي ميمونة، وهو ثقة.

(٢) صحيح ابن حبان (٢٥٥٠).

(٣) المستدرك ٤/ ١٦٠.

(٤) ص ٩٤.

(٥) الترغيب والترهيب ١/ ٤٧٨.

(٦) انظر الحديث التاسع، ص ٧٩.

## الحديث الثالث والعشرون

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: مكتوب في التوراة: لقد أعدَّ الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع، ما لم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر، ولا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل، قال: ونحن نقرؤها: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[1].

رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد[2]، ووافقه الذهبي، وأخرجه أيضًا الحافظ المنذري في «الترغيب»[3]، والحافظ الدمياطي في «المتجر الرابح»[4].

ولقد تقدَّم ثواب قيام الليل في الأحاديث المتقدّمة.

---

(١) سورة السجدة: الآية ١٧.

(٢) المستدرك ٢/ ٤١٤.

(٣) ١/ ٤٩١.

(٤) ص ٩٤.

## الحديث الرابع والعشرون

**عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم».**

رواه الترمذي في جامعه، وابن خزيمة في صحيحه في جماع أبواب صلاة الليل، والحاكم في المستدرك في كتاب صلاة التطوُّع، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي.

وأخرجه الطبراني في الكبير، والبيهقي في السنن، والبغوي في شرح السُّنَّة.

والحديث قد حسَّنه العراقي، فقال: رواه الطبراني والبيهقي بسند حسن.

وقد جاء من طريق بلال، وفيه زيادة: «ومطردة للداء عن الجسد»، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث بلال إلاَّ من هذا الوجه، ولا يصح من قبل إسناده.

وله شاهد من حديث سلمان الفارسي أخرجه الطبراني في

الكبير، وابن عدي في الكامل، ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان، وابن عساكر في تاريخ دمشق، وفيه عبد الرحمن بن سليمان بن أبـي الجون العنسي، قال عنه ابن حجر: صدوق يخطىء.

**أفاد هذا الحديث**: أنَّ قيام الليل كان من دأب الأنبياء والصالحين قبل هذه الأمة، من ذلك ما رواه ابن أبـي الدنيا في التهجُّد[1] عن مسعر قال: لما قيل لهم: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾، لم يأت عليهم ساعة إلا وفيهم مصلي.

* وعن ثابت البناني قال: بلغنا أنَّ داود النبـي ﷺ كان جزَّأ الصلاة على بيوته على نسائه وولده، فلم تكن ساعة من الليل والنهار إلاَّ وإنسان من آل داود قائم يصلِّي، فعمَّتهم هذه الآية[2].

وعـن عبـد الله بـن عمـرو بـن العـاص: أنَّ رسـول الله ﷺ قال: «خير الصيام صيام داود كان يصوم نصف الدهر، وخير الصلاة صلاة داود كان يرقد نصف الليل الأول ويصلي آخر الليل حتى إذا بقي سدس الليل رقده»، حديث متَّفق عليه[3].

---

(١) ص ٢٨٣.

(٢) مصنف ابن أبـي شيبة، كتاب الزهد ٧/ ٧١.

(٣) أخـرجـه البخـاري فـي كتـاب التهجُّد ــ بـاب: مـن نـام عنـد السحـر ٣/ ٢٢، ومسلم في كتاب الصيام ــ باب: النهي عن صوم الدهر.

وأخرج المروزي في قيام الليل[1]، عن فرقد السبخي[2] قال: قال داود: رب أي الساعات أقوم لك؟ قال: فأوحى إليه نصف الليل الأول إذا نام القانتون ولم يقم بعدُ المتهجدون المستغفرون، قال فرقد: فعند ذلك ينظر الله إليك برحمته إن شاء.

* وفي التهجُّد لابن أبي الدنيا[3]: ما نام داود وسليمان ابن داود الليل حتى فرق الموت بينهما، قال داود لسليمان: إما أن تكفيني أول الليل وأكفيك آخره، وإما أن تكفيني آخره وأكفيك أوله، فكان القائم يقوم فإذا فرغ قام الآخر.

وعن حكيم بن محمد الأخنسي[4] قال: بلغني أنَّ داود وسليمان عليهما السلام لم يؤتيا المُلك ليتنعما، إنما أوتي المُلك ليتعبَّدا، فلم يكن أحد في زمانهما أشد اجتهادًا في العبادة منهما، ما كان طيبهما إلاَّ الكندر، وما كان دهنهما إلاَّ الزيت، وكان سليمان إذا جنَّه الليل غلَّ نفسه ولبس مدرعًا من شعر وطول الليل قائمًا وقاعدًا وباكيًا وداعيًا، فإذا أصبح تصفَّح وجوه الأشراف حتى يجيء إلى المساكين فيقعد معهم ويقول:

---

(١) ص ٧٠.

(٢) هو فرقد بن يعقوب السبخي، أبو يعقوب البصري، صدوق عابد لكنه لين الحديث (ت ١٣١هـ).

(٣) ص ٥٠٢.

(٤) روى عنه أبو المغيرة النضر بن إسماعيل، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً (تلخيص المتشابه في الرسم ١/ ١٥٠).

يا ربِّ، مسكين مع المساكين[1].

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «قالت أم سليمان لسليمان: يا بني، لا تكثر النوم بالليل، فإنَّ كثرة النوم بالليل تدع الرجل فقيرًا يوم القيامة»[2].

* وأخرج أبو نعيم في الحلية عن علي بن أبـي الحر قال: شبع يحيـى بن زكرياء ليلة شبعة من خبز شعير فنام عن جزئه حتى أصبح فأوحى الله إليه: يا يحيـى، هل وجدت دارًا خيرًا لك من داري، أم جوارًا خيرًا لك من جواري، وعزَّتي يا يحيـى لو اطَّلعت إلى الفردوس اطِّلاعةً لذاب جسمك وذهبت نفسك اشتياقًا، ولو اطَّلعت إلى جهنَّم اطِّلاعة لبكيت الصديد بعد الدموع وللبست الحديد مع المسوح[3].

* وفي كتاب التهجُّد لابن أبـي الدنيا[4]: قال عيسى بن مريم: طوبـى للذين يتهجَّدون من الليل، أولئك الذين يرثون النور الدائم من أجل أنَّهم قاموا في ظلمة الليل فتمشوا على أرجلهم والتمسوا بأيديهم مساجدهم في بيوتهم، يتضرَّعون في سواد الليل إلى ربهم، زرعوا في مساجدهم، وكان سقي زرعهم

---

(١) التهجُّد، لابن أبـي الدنيا ص ٢٦١.

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة ــ باب: ما جاء في قيام الليل ١/ ٤٢٢.

(٣) ص ٣٣٤.

(٤) ص ٤٠٨.

دموع أعينهم، حتى أنبتوا وأدركوا الحصاد ليوم فقرهم، فوجدوا عاقبة ذلك؛ قلوبهم عند ربهم معلقة، وأجسادهم في الدنيا منتصبة، قد غلبهم النوم فخرّوا على وجوههم لِمَا رهبوا منه، يرجون رحمته ويخافون عذابه.

* وعن مجاهد قال: لما قيل لها: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ﴾[1]، قال: قامت حتى تورَّمت كعباها[2].

وأخرج ابن جرير في التفسير عن الأوزاعي قال: كانت مريم تقوم حتى يسيل القيح من قدميها[3].

وعند ابن عساكر عن أبي سعيد قال: كانت مريم تقوم حتى ترم قدماها.

* وعن عون بن عبد الله قال: كان لبني إسرائيل قيِّم يقوم عليهم يقول: لا تأكلوا كثيرًا، فإنَّكم إن أكلتم كثيرًا نمتم كثيرًا، وإن نمتم كثيرًا صلَّيتم قليلاً[4].

**وفي هذا الحديث**: أنَّ قيام الليل يكفِّر الله به الخطايا؛ عن وهيب بن الورد قال: قال كعب: إنَّ العبد لتحط عنه الخطايا ما دام ساجدًا[5].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٣.

(٢) الدر المنثور ٢/ ٢٧.

(٣) جامع البيان ٣/ ١٨٢.

(٤) التهجُّد، لابن أبي الدنيا ص ٥٠٢.

(٥) التهجُّد، لابن أبي الدنيا ص ٤٩٧.

وقال أبو بكر ابن أبـي عياش: من قام من الليل لم يأت فاحشة؛ ألا تسمع إلى قول الله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[1].

وروى جابر قال: قيل: يا رسول الله، إنَّ فلانًا يقوم الليل، فإذا أصبح سرق، فقال رسول الله ﷺ: «ستنهاه صلاته».

أخرجه البزار من طريق جرير بن عبد الحميد، عن الأعمش، عن أبـي صالح قال: أُراه عن جابر، ورجاله ثقات.

وذكره ابن حجر في المطالب العالية[2]، ونسبه لابن أبـي شيبة. ويشهد له حديث أبـي هريرة، أخرجه أحمد في المسند[3]: عن وكيع، عن الأعمش، عن أبـي صالح، عن أبـي هريرة به، وإسناده صحيح. ورواه أيضًا ابن حبان في صحيحه في كتاب الصلاة ـ فصل: في قيام الليل[4].

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.
(٢) ٣/ ٢٩٢.
(٣) ٢/ ٤٤٧.
(٤) ٦/ ٣٠٠.

## الحديث الخامس والعشرون

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «رحم الله رجلاً قام من الليل وأيقظ امرأته فصلَّت، فإن أبت نضح في وجهها الماء.

رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، ثم أيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء».

هذا الحديث أخرجه أبو داود في السنن، في كتاب الصلاة ـ باب: قيام الليل، وباب: الحث على قيام الليل؛ والنسائي في كتاب قيام الليل وتطوُّع النهار ـ باب: الترغيب في قيام الليل؛ وابن ماجه في السنن، كتاب إقامة الصلاة ـ باب: ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل؛ والإمام أحمد في المسند؛ وابن خزيمة في صحيحه في جماع أبواب صلاة التطوُّع بالليل ـ باب: فضل إيقاظ الرجل امرأته والمرأة زوجها لصلاة الليل؛ وابن حبان في صحيحه، في كتاب الصلاة ـ فصل: في قيام الليل؛ والحاكم في المستدرك، كتاب صلاة التطوُّع؛ والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الصلاة ـ باب: الترغيب في قيام الليل؛ والمروزي في قيام

الليل[1]؛ وابن أبـي الدُّنيا في التهجُّد وقيام الليل[2].

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبـي.

وحسَّنه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح، وفي صحيح الترغيب والترهيب، وصحَّحه في صحيح الجامع الصغير.

وقـال فـي صحيـح سنـن أبــي داود، وصحيـح سنـن ابـن ماجه: حسن صحيح. يقول الحافظ المنذري: وعند بعضهم: رش ورشت بدل نضح ونضحت، وهو بمعناه[3]. وعند ابن الأثير[4]: هو ما يترشش منه عند التوضُّؤ، كالنشر، ومنه حديث قتادة: (النضَحُ من النَّضْح) يريد من أصابه نضح من البول ــ وهو الشيء اليسير منه ــ فعليه أن ينضحه بالماء وليس عليه غسلُه.

وقد روي هذا الحديث من طريق أبـي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل يستيقظ من الليل فيوقظ امرأته، فإن غلبها النوم نضح في وجهها الماء، فيقومان في بيتهما فيذكران الله عزَّ وجلّ ساعة من الليل إلاَّ غفر لهما».

---

(١) المختصر ص ٨٥.

(٢) ص ٢٩٧.

(٣) الترغيب والترهيب ١/ ٤٨٢.

(٤) النهاية في غريب الحديث ٥/ ٦٩ ــ ٧٠.

رواه الطبراني في الكبير، وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش، وهو ضعيف[1].

**وفي هذا الحديث**: أنَّ الرجل إذا أيقظ امرأته، أو المرأة إذا أيقظت زوجها للتهجُّد وقيام الليل شمله دعاء النبي ﷺ له بالرحمة.

**وفيه أيضًا**: منافسة المرأة للرجل في نيل ثواب الأعمال الصالحات، وخاصة التهجُّد وقيام الليل.

وقد روت لنا كتب التراجم والطبقات العديد من النساء عُرفن بإحياء الليل صلاة ويدعون الله تعالى ويتضرعن إليه.

* من ذلك ما ذكره الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله في كتابه «المحجّة في سير الدّلجة»[2]: (كانت امرأة حبيب ــ أبي محمد الفارسي ــ توقظه بالليل وتقول: قم يا حبيب، فإنَّ الطريق بعيد وزادنا قليل، وقوافل الصالحين قد سارت من بين أيدينا ونحن قد بقينا).

يا نائمًا بالليل كم ترقد ... قم يا حبيبي قد دنا الموعدُ
وخُذ من الليل أوقاته ... وِردًا إذا ما هجع الرُّقَّدُ
من نام حتى يقضي ليله ... لم يبلغ المنزل أو يجهدُ

---

(١) مجمع الزوائد ٢/ ٢٦٣.

(٢) ص ٦٧، من طبعة دار البشائر الإسلامية.

* عن السري بن يحيى[1] قال: أدركت عواتق الحي يقمن الليل[2]. والعواتق: جمع عاتق، وهي المرأة الشابة التي أدركت وبلغت ولم تتزوَّج[3].

* وذكر ابن الجوزي في صفة الصفوة[4]، أنَّ رياح[5] القيسي تزوَّج امرأة فبنى بها، فلما أصبح قامت إلى عجينها، فقال: لو نظرتِ امرأة تكفيكِ هذا، قالت: إنما تزوجت رياحًا القيسي لم أرني أني تزوَّجت جبَّارًا عنيدًا، فلما كان الليل نام ليختبرها، فقامت ربع الليل ثم نادته: قم يا رياح، فقال: أقوم، فقامت الربع الآخر ثم نادته: قم يا رياح، فقال: أقوم، فقالت: مضى الليل وعسكر المحسنون وأنت نائم، ليت شعري من غرَّني بك يا رياح، قال: وقامت الربع الباقي.

* وذكر المروزي في قيام الليل[6] أنَّ الهيثم بن

---

(١) هو السري بن إياس بن حرملة الشيباني البصري، ثقة، أخطأ الأزدي في تضعيفه. التهذيب ٣/ ٤٦٠.

(٢) التهجُّد وقيام الليل، لابن أبي الدنيا ص ٣٩٩.

(٣) لسان العرب ١/ ٢٣٥.

(٤) ٤/ ٣٧.

(٥) هو رياح بن عمرو القيسي، قال أبو زرعة: صدوق، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال أبو داود: رجل سوء، وقال الذهبي: هو من زهَّاد المبتدعة بالكوفة. انظر: الثقات، لابن حبان ٦/ ٣١٠؛ وسؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود ص ٣٢١؛ وميزان الاعتدال ٦١١٢.

(٦) ص ٨٧.

جماز[1] قال: كانت لي امرأة لا تنام الليل، وكنت لا أصبر معها على السهر، فكنت إذا نعست ترش عليّ الماء في أثقل ما أكون من النوم وتنبّهني برجلها وتقول: ما تستحي من الله، كم هذا الغطيط، فوالله إن كنت لأستحي مما تصنع.

* واشتهرت معاذة العدوية بإحياء الليل صلاةً وقراءةً وتضرُّعًا. يقول عنها الحافظ الذهبي: معاذة بنت عبد الله السيِّدة العالمة، أم الصَّهباء العدوية البصرية العابدة زوجة السيِّد القدوة صلة بن أشيم... وحديثها محتجٌّ به في الصحاح، وثقها يحيى بن معين.

بلغنا أنها كانت تحيي الليل عبادة وتقول: عجبت لعين تنام، وقد علمت طول الرقاد في ظُلَم القبور[2].

وكانت معاذة العدوية إذا جاء الليل تقول: «هذه ليلتي التي أموت فيها»، فما تنام حتى تصبح، فإذا جاء النهار قالت: «هذا يومي الذي أموت فيه»، فما تنام حتى تمسي، وإذا جاء

---

(١) الحنفي البكَّاء البصري، قال ابن حبان: كان من العباد والبكَّائين ممن غفل عن الحديث والحفظ، واشتغل بالعبادة، حتى كان يروي المعضلات عن الثقات توهُّمًا، فلما ظهر ذلك منه بطل الاحتجاج به. الجرح والتعديل ٩/ ٨١، والمجروحين ٣/ ٩١، والميزان ٤/ ٣١٩).

(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ٨٠٥ ـ ٥٠٩.

البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم[1].

وأورد ابن الجوزي في صفة الصفوة[2] عن الحكم بن سنان الباهلي: حدَّثتني امرأة كانت تخدم معاذة العدوية قالت: كانت تحيي الليل صلاةً، فإذا غلبها النوم قامت فجالت في الدار وهي تقول: (يا نفس، النوم أمامك لو قدمت لطالت رقدتك في القبر على حسرة أو سرور). قالت: فهي كذلك حتى الصبح.

وروي عنها أنها لم تتوسَّد فراشًا بعد أبي الصهباء[3] حتى ماتت[4].

وذكر ابن الجوزي أنها كانت تصلِّي في كل يوم ستمئة

---

(١) الزُّهد، للإمام أحمد ص ٣٠٢؛ وصفة الصفوة ٤/ ١٩؛ والمتجر الرابح ص ١٠٤.

(٢) ٤/ ١٩.

(٣) هو صلة بن أشيم العدوي البصري، من التابعين، روى عنه الحسن وثابت ومعاذة العدوية.
وذكره البخاري وابن أبي حاتم، ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلاً.
قال الذهبي: سيِّد كبير، لكنه ما روى سوى حديث واحد عن ابن عباس، ومات شهيدًا قبل ابن عباس.
التاريخ الكبير ٤٤/ ٣٢١، والجرح والتعديل ٤/ ٤٤٧، وحلية الأولياء ٢/ ٢٣٧.

(٤) تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٠٩.

ركعة وتقرأ جزءها من الليل تقوم به[1].

* وكانت أم طلق[2] تصلِّي في كل يوم وليلة أربع مئة ركعة وتقرأ من القرآن ما شاء الله.

* وذكر ابن أبـي الدنيا أنَّ حفصة بنت سيرين كانت تقرأ نصف القرآن في كل ليلة، وكانت تصوم الدَّهر وتفطر العيدين وأيَّام التشريق[3].

* وقال ابن أبـي الدنيا[4]: وحدَّثني أبو الوليد قال: ربما رأيت فاطمة بنت بزيع مولاة الحسن بن يوسف ــ وكانت امرأة الأغر أبـي عثمان ــ ربما رأيتها تصلِّي من أول الليل إلى آخره.

* وروى المروزي في قيام الليل[5] عن رجاء بن مسلم العبدي قال: كنا نكون مع عجردة العمية[6] في الدار قال: فكانت تحيـي الليل صلاة، قال: وربما كانت تقوم من أول الليل إلى السحر، فإذا كان السحر نادت بصوت لها محزون:

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ١٩.

(٢) ذكرها ابن الجوزي في صفة الصفوة ٤/ ٣١، وذكر عنها الأثر.

(٣) التهجُّد وقيام الليل ص ٢٤٧.

(٤) المصدر نفسه ص ٢٠٩ ــ ٢١٠.

(٥) ص ٨٥.

(٦) عجردة العمية، ذكرها ابن الجوزي في صفة الصفوة ٤/ ٢٦، وقال: من عابدات البصرة.

إليك قطع العابدون دُجى الليالي بتبكير الدّلج إلى ظلم الأسحار، يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك، فبك إلهي لا بغيرك أسألك أن تجعلني في أول زمرة السابقين إليك، وأن ترفعني إليك في درجة المقربين، وأن تلحقني بعبادك الصالحين، فأنت أكرم الكرماء وأرحم الرحماء وأعظم العظماء يا كريم. قال: ثم تخرّ ساجدة يسمع وجبة سقوطها، فلا تزل تبكي وتدعو في سجودها حتى يطلع الفجر. وكان ذلك دأبها ثلاثين سنة.

وروى ابن أبي الدنيا عن سويد بن عمرو الكلبي[1] قال: كانت امرأة عابدة في غنى، وكانت لا تنام الليل إلاَّ يسيرًا، قال: فعوتبت في ذلك فقالت: كفى بطول الرقدة في القبور للمؤمنين رقادًا[2].

* وروى ابن الجوزي عن أبي سلمة رجل من بني سدوس قال: كانت لنا عجوز في الحي لم ندركها، ولكن أدركها أشياخنا، وكان يقال لها: منيرة، فكانت إذا جاء الليل

---

(١) هو أبو الوليد الكوفي العابد، ثقة من كبار العاشرة (ت ٢٠٤هـ)، أفحش ابن حبان القول فيه ولم يأت بدليل، وقول ابن حبان: (كان يقلب الأسانيد ويضع على الأسانيد الصحاح المتون الواهية، ولا يجوز الاحتجاج به في حال)، قال الذهبي: (وثقه ابن معين وغيره). المجروحين ١/ ٢٤٧، والتهذيب ٤/ ٢٧٧.

(٢) التهجُّد وقيام الليل ص ٢٠٣ ــ ٢٠٤.

تقول: قد جاء الهول، قد جاءت الظلمة، قد جاء الخوف، وما أشبه هذا بيوم القيامة. قال: ثم تقوم فلا تزال تصلِّي حتى تصبح[1].

* وأخرج ابن أبـي الدنيا في كتاب المنامات[2] بسنده إلى عبدة بنت أبـي شوال، وكانت من خيار إماء الله، قال: قالت: رابعة تصلِّي الليل كله، فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاًّها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر، قالت: فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من رقدتها ذلك: يا نفس كم تنامين وإلى كم لا تقومين، أوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلاَّ بصرخة يوم النشور، قالت: فكان هذا دأبها دهرها حتى ماتت.

وذكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد[3] بسنده إلى مسمع بن عاصم المسمعي[4]، قال: قالت لي رابعة العابدة:

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٣١٥.

(٢) ص ٥٠.

(٣) تاريخ بغداد ٢/ ٤٠ من طريق ابن أبـي مريم عم عمار بن عثمان به، وأخرجه ابن أبـي الدنيا في التهجُّد وقيام الليل ص ٣٢٧، وفي كتاب المنامات ص ١٣٧، والمروزي في قيام الليل ص ٩١.

(٤) هو أبو سنان البصري، ضعَّفه العقيلي وقال: لا يتابع على حديثه وليس بمشهور بالنقل، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: من عباد أهـل البصـرة ومتقنيهـم. (الثقـات ٩/ ١٩٨، والضعفـاء الكبيـر ٤/ ٢٤٦).

اعتللت علَّة قطعتني عن التهجُّد وقيام الليل، فمكثت أيامًا أقرأ جزئي إذا ارتفع النهار، لِما يُذكر فيه أنه يعدل بقيام الليل، قالت: ثمَّ رزقني الله العافية فاعتادتني فترة في عقب العلة، فكنت قد سكنت إلى قراءة جزئي بالنهار وانقطع عني قيام الليل. قالت: فبينا أنا ذات ليلة راقدة أريت في منامي كأني دفعت إلى روضة خضراء ذات قصور وبيت حسن، فبينا أنا أجول فيها أتعجَّب من حسنها إذا أنا بطائر أخضر وجارية تطارده كأنها تريد أخذه، قالت: فشغلني حسنها عن حسنه، فقلت: ماذا تريدين منه، دعيه فوالله ما رأيت طائرًا قط هو أحسن منه. قالت: فهلاَّ أريك شيئًا هو أحسن منه؟ قالت: قلت: بلى، قالت: فأخذت بيدي فأدارت بي في تلك الروضة حتى انتهت بي إلى باب قصر فيها، فاستفتحت، ففتح لنا ثم قالت: افتحوا لي بيت رابعة، قالت: ففتح لها باب شاع منه شعاع واستنار من ضوئه ما بين يدي وما خلفي، قالت: فدخلَتْ وقالت: فادخلي، قالت: فدخلت في بيت يحار فيه البصر تلألؤًا وحسنًا ما أعرف له في الدنيا شبيهًا أشبهه به، قالت: فبينا نحن نجول فيه إذ رفع لنا باب يخرق إلى بستان، قالت: فأهوت نحوه وأنا معها فتلقانا فيه وُصفاء كأن وجوههم اللؤلؤ، بأيديهم المجامر فقالت لهم: أين تريدون؟ قالوا: نريد فلانًا قتل في البحر شهيدًا، قالت: أفلا تجمروا هذه المرأة؟ قالوا: قد كان لها في ذلك حظ فتركته، قالت:

فأرسلت بيدها من يدي ثم أَقْبَلَت علي فقالت:

صلاتك نور والعباد رقود ونومك ضد للصلاة عنيد

وعمرك غنم إن عقلت ومهلة يسير ويفنى دائبًا ويبيد

قالت: ثم غابت من بين عيني واستيقظت بعد الفجر، قالت: فوالله ما ذكرتها فتوهمتها إلاَّ طاش عقلي وأنكرته بعيني.

قال: ثم سقطت رابعة مغشيًّا عليها.

قال دهثم العجلي: ما نامت رابعة بعد هذه الرؤيا بليل حتى ماتت.

# الحديث السادس والعشرون

**عن عبد الله بن أبـي قيس قال: قالت عائشة رضي الله عنها: لا تدع قيام الليل، فإنَّ رسول الله ﷺ كان لا يدعه، وكان إذا مرض أو كسل صلَّى قاعدًا.**

رواه أبو داود السجستاني في سننه في كتاب الصلاة ــ باب: قيام الليل.

وفي رواية أبـي داود الطيالسي: عن شعبة، حدثنا عن يزيد بن خمير، سمعت عبد الله بن أبـي موسى مولى لبني نضر بن معاوية قال: قالت لي عائشة: (لا تدع قيام الليل، فإنَّ رسـول الله ﷺ كـان لا يـدعـه، وكـان إذا كسـل أو مـلَّ صلَّـى جالسًا).

وفي رواية ابن خزيمة: (إذا ملَّ أو كسل)، وفي إسناد أبـي داود الطيالسي واسطة بين شعبة ويزيد بن خمير، ولكن شعبة صرَّح بالسماع من يزيد عند ابن خزيمة في صحيحه في جماع أبواب صلاة التطوُّع، باب استحباب صلاة الليل قاعدًا إذا مرض أو كسل[1].

---

(١) ٢/ ١٧٧ ــ ١٧٨ (ح رقم ١١٣٧).

والحاكم في المستدرك في كتاب صلاة التطوُّع من طريقه، ومن طريق محمد بن جعفر عن شعبة به، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي[1].

ورواه الإمام أحمد مطوَّلاً من طريق محمد بن جعفر عن شعبة.

والحديث صحَّحه الشيخ ناصر الدِّين الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب[2]، وصحيح أبي داود[3]، وجميعهم رووه بلفظ: «إذا مرض أو كسل»، من غير ذكر لفظة (ملّ)، إلاَّ أنَّ ابن خزيمة ذكر رواية عن علي بن مسلم شيخ ابن أبي الدنيا قال: (وقال: إذا ملَّ أو كسل)، والذي في الصحيحين عن عائشة: (حتى إذا كبَّر قرأ جالسًا).

وقد يطلق المَلُّ ويراد به المرض، قال في لسان العرب[4]: (الملال هو التقلُّب من المرض أو الغم).

وقد استوفينا الكلام عن تهجُّد رسول الله ﷺ في الحديث الثامن عشر.

---

(١) ١/ ٣٠٨.

(٢) ١/ ٣٢٥.

(٣) ١/ ٢٤٣.

(٤) ١١/ ٦٣٠.

# الحديث السابع والعشرون

**عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه، سمع النبي ﷺ يقول: «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممَّن يذكر الله في تلك الساعة فكن».**

أخرجه الترمذي وصحَّحه، وأخرجه الإمام أحمد ولفظه: قال: قلت: «يا رسول الله، أي الساعات أفضل؟ قال: جوف الليل الآخر»، وفي رواية له أيضًا قال: «جوف الليل الآخر أجوبه دعوة»، وفي رواية له: قلت: يا رسول الله، هل من ساعة أقرب إلى الله من أخرى؟ قال: «جوف الليل الآخر».

وأخرجه ابن ماجه، وعنده: «جوف الليل الأوسط»، وفي رواية للإمام أحمد عن عمرو بن عبسة قال: قلت: يا رسول الله، هل من ساعة أفضل من ساعة؟ قال: «إن الله ليتدلى في جوف الليل، فيغفر إلاَّ ما كان من الشرك»[1].

وقد قيل: إنَّ جوف الليل إذا أطلق، فالمراد به وسطه،

---

(١) حديث صحيح، رواه أحمد ٤/ ١١٢ ـ ١١٤، ٣٨٥ ـ ٣٨٧، والترمذي (٣٥٧٩)، وابن ماجه (١٢٥١)، والطبراني في الدعاء ص ١٢٨ ـ ١٣٤، وصحَّحه ابن خزيمة (١١٤٧).

وإن قيل: جوف الليل الآخر، فالمراد وسط النصف الثاني، وهو السدس الخامس من أسداس الليل، وهو الوقت الذي ورد فيه النزول الإلـٰهي.

**وفي هذا الحديث**: أنَّ أفضل أوقات التهجُّد بالليل هو جوف الليل، وخرج الترمذي والنسائي من حديث أبـي أمامة قال: «قيل يا رسول الله، أيُّ الدُّعاء أسمع؟ قال: جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات»[1].

وخرَّجه ابن أبـي الدنيا، ولفظه: جاء رجل إلى النبـي ﷺ قال: «أي الصلاة أفضل؟ قال: جوف الليل الأوسط، قال: أي الدعاء أسمع؟ قال: دبر المكتوبات».

وخرَّج النسائي من حديث أبـي ذر، قال: «سألت النبـي ﷺ: أي الليل خير؟ قال: خير الليل جوفه»[2].

وخرَّج الإمام أحمد من حديث أبـي مسلم قال: قلت لأبـي ذرّ: أي قيام الليل أفضل؟ قال: سألت النبـي ﷺ كما

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات (٣٥٩٩) وقال: هذا حديث حسن. والنسائي في عمل اليوم والليلة ص ١٠٨، وفي سنده انقطاع وعنعنة ابن جرير وشذوذه، فقد روى خمسة من أصحاب أبـي أمامة أصل هذا الحديث من رواية أبـي أمامة عن عمرو بن عبسة، ومع ذلك فقد حسَّنه الترمذي.

(٢) السنن الكبرى كما في تحفة الأشراف ٩/ ١٥٦ ـ ١٥٧.

سألتني فقال: «جوف الليل الغابر أو نصف الليل، وقليل فاعله»[1].

وخرَّج البزار والطبراني من حديث ابن عمر قال: سُئِل النبي ﷺ: أيُّ الليل أجوب دعوة؟ قال: «جوف الليل»، وزاد البزار في روايته: (الآخر)[2].

* ومن الصحابة رضوان الله عليهم مَن كان يخصِّص جوف الليل الآخر بالصلاة والذكر، منهم سلمان الفارسي رضي الله عنه.

فعن طارق بن شهاب، أنه بات عند سلمان رضي الله عنه لينظر ما اجتهاده، قال: فقام يصلِّي من آخر الليل، فكأنه لم ير الذي كان يظن، فذكر ذلك له، فقال سلمان: حافظوا على هذه الصلوات الخمس، فإنهن كفارات لهذه الجراحات ما لم تصب المقتلة.

فإذا صلَّى الناس العشاء صدروا عن ثلاث منازل:

منهم: من عليه ولا له.

ومنهم: من له ولا عليه.

ومنهم: من لا له ولا عليه.

---

(١) رواه أحمد ٥/ ١٧٩، وفيه مهاجر بن مخلد، وهو ضعيف.

(٢) رواه الطبراني في الكبير ص ٣٥٥، والبزار (٣١٥١)، وقال الهيثمي: رجال البزار رجال الصحيح.

فرجل اغتنم ظلمة الليل وغفلة الناس، فركب فرسه في المعاصي، فذلك عليه ولا له.

ومن له ولا عليه، فرجل اغتنم ظلمة الليل وغفلة الناس، فقام يصلِّي فذلك له ولا عليه.

ومن لا له ولا عليه، فرجل صلَّى ثم نام فلا له ولا عليه.

وإيَّاك والحَقْحَقَة وعليك بالقصد وداومه.

رواه الطبراني في الكبير موقوفًا بإسناد لا بأس به، ورفعه جماعة.

والحَقْحَقَة ــ بحائين مهملتين مفتوحتين وقافين: الأولى ساكنة، والثانية مفتوحة ــ: هو أشد السير، وقيل: هو أن يجتهد في السير، ويلح فيه حتى تعطب راحلته، أو تقف. وقيل غير ذلك.

* وقال الحسن البصري وسأله رجل أيّ القيام أفضل؟ قال: جوف الليل الغابر إذا نام من قام من أوله ولم يقم بعد من يتهجَّد في آخره، فعند ذلك نزول الرحمة وحلول المغفرة.

قال حكيم بن جعفر: فحدثت بذلك مسمع بن عاصم، فبكى ثم قال: إلـهي في كل سبيل يبتغي المؤمن رضوانك[1].

---

(١) رواه ابن أبـي شيبة في المصنف في كتاب الصلاة ــ باب: أي ساعة من الليـل يقـام فيهـا ٢/ ٧٣، وابـن أبـي الـدنيـا فـي التهجُّـد وقيـام الليـل ص ٣٠٥.

وعن محمد بن طلحة بن مصرف قال: كان أبي يأمر نساءه وخدمه وبناته بقيام الليل ويقول: صلُّوا ولو ركعتين في جوف الليل، فإنَّ الصلاة في جوف الليل تحطّ الأوزار، وهي من أشرف أعمال الصالحين[1].

(١) المروزي في قيام الليل ص ٨٧.

# الحديث الثامن والعشرون

**عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال رسول الله ﷺ: «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين».**

أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ــ باب: تحزيب القرآن، وابن خزيمة في صحيحه في كتاب الصلاة ــ باب: فضل قراءة ألف آية، وابن حبان في صحيحه في كتاب الصلاة ــ فصل: في قيام الليل، وإسناده حسن.

ومن حديث أبي هريرة لفظه: «من قرأ في ليلة مئة آية لم يكتب من الغافلين أو كتب من القانتين».

أخرجه ابن خزيمة في صحيحه في كتاب الصلاة ــ باب: ذكر فضيلة قراءة مئة آية في صلاة الليل، وإسناده صحيح، وصحَّحه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة[1].

يقول عبد الرؤوف المناوي رحمه الله[2] في قوله: «من قرأ في ليلة» من الليالي، ولو قيل في الليل معرفًا لأوهم أنَّ الثواب مرتبًا على القراءة الواقعة في جنس الليل.

---

(١) ٢/ ٢٤٧.

(٢) فيض القدير ٦/ ١٩٦.

وقد فسَّر الحافظ الدمياطي قوله: «من المقنطرين»، أي ممن كتب لهم قنطار من الأجر.

وقد روى ابن حبان من حديث أبي هريرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «القنطار اثنا عشر ألف أوقية، والأوقية خير مما بين السماء والأرض»[1].

وقال ابن خزيمة: إن صحَّ الخبر فإني لا أعرف أبا سَوِيَّة بعدالة ولا جرح، ورواه ابن حبان في صحيحه من هذه الطريق أيضًا إلاَّ أنه قال: «من قام بمئتي آية كتب من المقنطرين».

قال الحافظ: من سورة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ إلى آخر القرآن ألف آية، والله أعلم.

(١) المتجر الرابح ص ٩٩.

# الحديث التاسع والعشرون

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة في صلاة الصبح، حتى كدنا نتراءى قرن الشمس، فخرج رسول الله ﷺ سريعًا، فثوب بالصلاة وصلَّى وتجوز في صلاته، فلما سلم قال: كما أنتم على مصافكم»، ثم أقبل إلينا فقال: «إنِّي سأحدِّثكم ما حبسني عنكم الغداة: إني قمت الليل فصلَّيت ما قدر لي، فنعست في صلاتي حتى استيقظت، فإذا أنا بربي عزَّ وجلّ في أحسن صورة.

فقال: يا محمد، أتدري فيما يختصم الملأ الأعلى؟

قلت: لا أدري رب.

قال: يا محمد، فيم يختصم الملأ الأعلى؟

قلت: لا أدري رب.

فرأيته وضع كفّه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله في صدري، وتجلَّى لي في كل شيء، وعرفت.

فقال: يا محمد، فيم يختصم الملأ الأعلى؟

قلت: في الكفارات والدرجات؟

قال: ما الكفارات؟

قلت: نقل الأقدام إلى الجمعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإتباع الوضوء عند الكريهات.

قال: وما الدرجات؟

قلت: إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة والناس نيام.

قال: سل؟

قلت: اللَّهُمَّ إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون، وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك».

وقال رسول الله ﷺ: «إنها حق فادرسوها وتعلموها».

هذا الحديث خرَّجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح قال: وسألت محمد بن إسماعيل البخاري عن هذا فقال: هذا حديث حسن صحيح.

وقال ابن رجب الحنبلي: وفي إسناده اختلاف، وله طرق متعددة وفي بعضها زيادة وفي بعضها نقصان، وقد ذكرت عامة أسانيده وبعض ألفاظه المختلفة في كتابي شرح الترمذي.

وفي بعض ألفاظه عند الإمام أحمد، والترمذي أيضًا: «المشي على الأقدام إلى الجماعات»، بدل «الجمعات».

وفيه أيضًا عندهما بعد ذكر الكفارات زيادة: «ومن فعل ذلك عاش بخير، ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه».

وفيه أيضًا عندهما: «والدرجات إفشاء السلام» بدل: «لين الكلام»، وفي بعض رواياته: «فعلمتُ ما في السماء والأرض»، ثم تلى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾.

وفي رواية أخرى: «فتجلَّى لي ما بين السماء والأرض»، وفي رواية: «ما بين المشرق»، وفي بعضها زيادة في الدعاء وهي: «وتتوب علي»، وفي بعضها: «إسباغ الوضوء في السبرات».

وقد خصَّص ابن رجب الحنبلي هذا الحديث بتأليف خاص سمَّاه: «اختيار الأولى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى».

يقول ابن رجب: (الثالث من الدرجات: الصلاة بالليل والناس نيام)، فالصلاة بالليل من موجبات الجنة كما سبق ذكره في غير حديث، وقد دلَّ عليه قوله عَزَّ وجَلّ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩﴾[1]. فوصفهم بالتيقُّظ بالليل والاستغفار بالأسحار والإنفاق من أموالهم.

---

(١) سورة الذاريات: الآيات ١٥ ــ ١٩.

كان بعض السلف نائمًا فأتاه آت في منامه فقال له: قم فَصَلِّ، أما علمت أنَّ مفاتيح الجنة مع أصحاب الليل، هم خزَّانها؟؟[1].

* وقيام الليل يوجب علوّ الدرجات في الجنَّة، قال الله تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾[2]، فجعل جزاءه على التهجُّد بالقرآن بالليل أن يبعثه المقام المحمود، وهو أعلى درجاته ﷺ.

قال عون بن عبد الله: إنَّ الله يدخل الجنة أقوامًا فيعطيهم حتى يملوا، وفوقهم ناس في الدرجات العلى، فلما نظروا إليهم عرفوهم فقالوا: ربنا إخواننا كنا معهم فبم فضلتهم علينا؟ فيقول: هيهات هيهات إنهم كانوا يجوعون حين تشبعون، ويظمؤون حين تروون، ويقومون حين تنامون، ويشخصون حين تخفضون.

ويوجب أيضًا نعيم الجنة ما لم يطلع عليه العباد في الدنيا)[3].

---

(١) الأثر أخرجه ابن أبي الدُّنيا في التهجُّد ص ٤٩٩، وفي كتاب المنامات ص ١٧٧، وإسناده حسن.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٩.

(٣) اختيار الأولى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى ص ٧٣.

# الحديث الثلاثون

**عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ في الجنة غرفة يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها»، فقال أبو مالك الأشعري: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وبات قائمًا والناس نيام».**

هذا الحديث رواه أحمد والطبراني في الكبير، وإسناده حسن واللفظ له، ورواه الحاكم.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه بلفظ: «إن في الجنة غرفًا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلَّى بالليل والناس نيام».

كما روي هذا الحديث من طريق أنس قال: (قال رجل للنبي ﷺ: علِّمني عملاً يدخلني الجنة بسلام)، رواه الطبراني، وفيه حفص بن أسلم، وهو ضعيف.

وروي من طريق أبي هريرة قال: قلت: «يا رسول الله، إذا رأيتك طابت نفسي وقرَّت عيني فأنبئني عن شيء إذا فعلته دخلت الجنة، قال: أطعم الطعام، وأفش السلام، وصل بالليل والناس نيام، وادخل الجنة بسلام».

أخرجه ابن أبي الدنيا في التهجُّد وقيام الليل، وفي إسناده أبو ميمونة، قال فيه ابن معين: صالح، وقال الدارقطني: مجهول يُترك، وفيه عنعنة قتادة وهو مدلس، لكن يشهد له ما أخرجه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

* **وفي هذا الحديث**: وصف لغرف الجنة التي جعلها الله ثوابًا للمتهجِّدين، فهي غرف يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها.

وقد جاء وصفها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾[1]، فأخبر أنها غرف فوق غرف وأنها مبنية بناء حقيقة لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل وأنه ليس هناك بناء، بل تتصور النفوس غرفًا مبنية كالعلالي بعضها فوق بعض حتى كأنها ينظر إليها عيانًا، و «مبنية» صفة للغرف الأولى والثانية، أي لهم منازل مرتفعة وفوقها منازل أرفع منها[2].

وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾[3].

---

(١) سورة الزمر: الآية ٢٠.

(٢) حادي الأرواح ص ١٧٨.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٧٥.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾[1].

وأخرج البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق ـ باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة: عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ: «إنَّ أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم! قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

وفي رواية لمسلم: (يرون)، والمعنى أنَّ أهل الجنة تتفاوت منازلهم بحسب درجاتهم في الفضل حتى إنَّ أهل الدرجات العلى ليراهم من هو أسفل منهم كالنجوم، وقد بُيِّن ذلك في الحديث بقوله: (لتفاضل ما بينهم)، وقوله: (الدُّرِّيّ) هو النجم الشديد الإضاءة.

وأخرجه أيضًا في كتاب الرقاق ـ باب: صفة الجنة والنار، عن سهل، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ أهل الجنة ليتراءون الكوكب الغارب في الأفق الشرقي والغربي».

قال الطيبي: شبه رؤية الرائي في الجنة صاحب الغرفة

---

(١) سورة سبأ: الآية ٣٧.

برؤية الرائي الكوكب المضيء النائي في جانب المشرق والمغرب في الاستضاءة مع البعد[1].

* وفائدة ذكر المشرق والمغرب بيان الرفعة وشدَّة البعد. هذا وإنَّ نعيم دار القرار ــ جعلنا الله من ساكنيها في جوار عباده الأبرار ــ وما ورد من صفات حورها وغرفها وقصورها وما فيها من كل ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين أمر لا تدري كنهه العقول ولا تحيط به الأذهان، ولا تقف منه الأفكار على غير علم اليقين والإيمان بما أخبر به المصطفى ﷺ، ولا يقف على اليقين ولا حق اليقين فكر من الأفكار مهما بقي في هذه الدار.

وقد أشار ﷺ إلى ذلك في الحديث القدسي، يقول الله: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»، أخرجه الشيخان.

وعين وأذن نكرة في سياق النفي يقتضي النفي عن كل عين وعن كل أذن حتى ما سمعته آذان الصحابة رضي الله عنهم من إخباره ﷺ لهم عنها، فإنه لم يخبرهم إلاَّ بأمور تقريبية بقدر أفهامهم وما تسعه عقولهم.

فلا مجال للأفهام في معرفة ما هنالك وإدراك كيفيته؛ لأنَّ الأفهام إنما تستمد من حاسَّة السمع والبصر، وتقيس المغيبات

---

(١) فتح الباري ١١/٥١٨.

على المشاهدات. والخواطر ــ والمراد بها الأفكار الصحيحة ــ لا تجري إلاَّ فيما جُعل لها عين وأذن واطِّلاع.

والله تعالى بقدرته حجب بعض الأمور عن الإدراك، فلم يأذن لنا في غير الإيمان الجُملي، والوقوف عند ما أوقفنا عليه تعالى ورسوله، كمعاني المتشابه من كلامه لم يجعل لنا الإذن إلاَّ في تلاوته، ولم يمدح الراسخين إلاَّ بقولهم فيه ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ والإيمان نقول الصادق وأن المَلك يقطع خمسمائة عام في لحظة وهذا شيء لا تعرفه العقول لأنها لا تعرف ذلك مشاهدة لها ولكنها مؤمنة وجازمة بصدق المخبر به.

ومن هذا نظائر لا تُحصى أشار إليه من قال: (ثمة سر غامض من دونه، قصرت والله سادات فحول).

# الحديث الحادي والثلاثون

عن معاذ رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال: «لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت». ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل»، ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ . . .﴾، حتى بلغ: ﴿يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[1].

ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟»، قلت: بلى يا رسول الله، قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد»، ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟»، قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه، قال: «كف عليك هذا؟»، قلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكلتك أمك، وهل يكب الناس في النار على وجوههم ـ أو على مناخرهم ـ إلاَّ حصائد ألسنتهم».

---

(١) سورة السجدة: الآيتان ١٦ ـ ١٧.

هذا الحديث خرَّجه الإمام أحمد، والترمذي والنسائي وابن ماجه من رواية معمر، عن عاصم بن أبـي النجود، عن أبـي وائل، عن معاذ بن جبل، وقال الترمذي: حسن صحيح.

قـال ابـن رجـب[1] ــ وفيمـا قـالـه رحمـه الله نظـر مـن وجهين ــ : أحدهما: أنه لم يثبت سماع أبـي وائل من معاذ، وإن كـان قـد أدركـه بـالسن، وكـان معـاذ بـالشـام، وأبـو وائـل بالكوفة، وما زال الأئمة ــ كأحمد وغيره ــ يستدلُّون على انتفاء السماع بمثل هذا.

وقـد قـال أبـو حـاتـم الـرازي فـي سمـاع أبـي وائـل مـن أبـي الدرداء: قد أدركه وكان بالكوفة، وأبو الدرداء بالشام، يعني أنه لم يصح له سماع منه، وقد حكى أبو زرعة الدمشقي عن قوم أنهم توقَّفوا في سماع أبـي وائل من عمر، أو نفوه، فسماعه من معاذ أبعد.

والثـانـي: أنـه قـد رواه حمـاد بـن سلمـة عـن عـاصـم بـن أبـي النجود، عن شهر بن حوشب، عن معاذ، خرَّجه الإمام أحمد مختصرًا، قال الدارقطني: وهو أشبه بالصواب؛ لأنَّ الحديث معروف من رواية شهر على اختلاف عليه فيه.

ورواية شهر عن معاذ مرسلة يقينًا، وشهر مختلف في توثيقه وتضعيفه، وقد خرَّجه الإمام أحمد من رواية شهر عن

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢/ ١٣٥.

عبد الرحمن بن غنْم، عن معاذ، وخرَّجه الإمام أحمد أيضًا من رواية عروة بن النزال أو النزال بن عروة وميمون بن أبي شبيب، كلاهما عن معاذ، ولم يسمع عروة ولا ميمون من معاذ، وله طرق أخرى عن معاذ كلها ضعيفة.

**وفي هذا الحديث**: أنَّ صلاة الرجل في جوف الليل يعد من أبواب الخير، وسبب دخول الجنة والبعد عن النار يقول ابن رجب: وقوله «ألا أدلك على أبواب الخير»؛ لما رتب دخول الجنة على واجبات الإسلام، دله بعد ذلك على أبواب الخير من النوافل، فإنَّ أفضل أولياء الله هم المقرَّبون، الذين يتقرَّبون إليه بالنوافل بعد أداء الفرائض[1].

**وقوله**: «**وصلاة الرجل في جوف الليل**»، يعني أنها تطفىء الخطيئة أيضًا كالصدقة، ويدل على ذلك ما أخرجه الإمام أحمد من رواية عروة بن النزال عن معاذ قال: أقبلنا مع النبي ﷺ من غزوة تبوك... فذكر الحديث، وفيه: «الصوم جنة، والصدقة وقيام العبد في جوف الليل يكفر الخطيئة».

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل»[2].

وقد روي عن جماعة من الصحابة: أنَّ الناس يحترقون

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢/ ١٣٨.

(٢) رقم (١١٣٦).

بالنار بالذنوب، وكلما قاموا إلى الصلوات المكتوبة أطفؤوا ذنوبهم. ورُوِي ذلك مرفوعًا من وجوه فيها نظر.

فكذلك قيام الليل يكفِّر الخطايا؛ لأنَّه أفضل نوافل الصلاة.

وقوله: ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾.

يعني أنَّ النبي ﷺ تلا هاتين الآيتين عند ذكره فضل صلاة الليل، ليبين بذلك فضل صلاة الليل. وقد روي عن أنس أنَّ هذه الآية نزلت في انتظار صلاة العشاء، خرَّجه الترمذي وصحَّحه[1]. ورُوي عنه أنه قال في هذه الآية: (كانوا يتنفلون بين المغرب والعشاء). خرَّجه أبو داود[2]، ورُوي نحوه عن بلال، خرَّجه البزار بإسناد ضعيف[3].

وكل هذا يدخل في عموم لفظ الآية، فإنَّ الله مدح الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع لدعائه، فيشمل ذلك كل من ترك

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣١٩٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) برقم (١٣٢١)، وإسناده صحيح، ولفظه: (كانوا يتنفَّلون ما بين صلاة المغرب والعشاء يصلون).

(٣) برقم ٢٢٥٠، وضعَّفه الهيثمي في المجمع ٧/ ٩٠ بشيخ البزار عبد الله بن ثبيب.

النوم بالليل لذكر الله ودعائه، فيدخل فيه من صلَّى بين العشاءين، ومن انتظر صلاة العشاء فلم ينم حتى يصليها، لا سيَّما مع حاجته إلى النوم، ومجاهدة نفسه على تركه لأداء الفريضة، وقد قال النبي ﷺ لمن انتظر صلاة العشاء: «إنكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة»[1].

ويدخل فيه من نام ثم قام من نومه بالليل للتهجُّد، وهو أفضل أنواع التطوُّع بالصلاة مطلقًا.

وربما دخل فيه من ترك النوم عند طلوع الفجر، وقام إلى أداء صلاة الصبح لا سيَّما مع غلبة النوم عليه، ولهذا يشرع للمؤذن في أذان الفجر أن يقول في أذانه: الصلاة خير من النوم[2].

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب وقت العشاء إلى نصف الليل، رقم (٥٧٢) ٢/ ٦٩. وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٦٤٠) ١/ ٤٤٣.

(٢) جامع العلوم والحكم ٢/ ١٤٣.

# الحديث الثاني والثلاثون

عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم ويستبشرهم: الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله عز وجل، فإما أن يقتل، وإما أن ينصره الله عز وجل ويكفيه، فيقول: انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه.

والذي له امرأة حسناء وفراش لين حسن، فيقوم من الليل، فيقول: يذر شهوته ويذكرني ولو شاء رقد.

والذي إذا كان في سفر، وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا فقام من السحر في ضراء وسراء».

قال الحافظ المنذري في الترغيب[1]: رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن.

وقال الهيثمي[2]: رجاله ثقات.

فيا لها من بشارة عظيمة، ومنزلة رفيعة أن ينال العبد حب الله عَزَّ وجَلّ.

---

(١) ١/ ٤٨٩.

(٢) مجمع الزوائد ٢/ ٢٥٥.

يقول ابن القيِّم رحمه الله في هذا المعنى: (وقد وصف الله سبحانه نفسه بأنه يحب عباده المؤمنين، ويحبونه، فأخبر أنهم أشد حبًّا لله، ووصف نفسه بأنه الودود، وهو الحبيب، قاله البخاري، والود: خالص الحب، فهو يود عباده المؤمنين ويودُّونه.

وقد روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه عَزَّ وجَلّ أنه قال: «من أهان لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرَّب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرَّب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنَّه، وما تردَّدت عن شيء أنا فاعله تردُّدي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بدَّ له منه...».

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ قال: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض».

وفي لفظ مسلم: «إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال:

إني أحب فلانًا فأحبه، قال: فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبه، قال: فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلانًا فأبغضه قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في السماء إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه ثم يوضع له البغضاء في الأرض».

ومن أفضل ما سئل الله عَزَّ وجَلّ حبه وحب من يحبه وحب عمل يقرب إلي حبه، ومن أجمع ذلك أن يقول: «**اللَّـهُمَّ إني أسألك حبك وحب من يحبك، وحب عمل يقربني إلى حبك. اللَّـهُمَّ ما رزقتني مما أحب فاجعله قوَّة لي فيما تحب، وما زويت عنِّي مما أحب فاجعله فراغًا لي فيما تحب. اللَّـهُمَّ اجعل حبك أحب إلي من أهلي ومالي ومن الماء البارد على الظمأ. اللَّـهمَّ أحببني إليك وإلى ملائكتك وأنبيائك ورسلك وعبادك الصالحين، واجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك وأنبيائك ورسلك وعبادك الصالحين. اللَّـهُمَّ أحيي قلبي بحبك واجعلني لك كما تحب. اللَّـهُمَّ اجعلني أحبّك بقلبي كله، وأرضيك بجهدي كله. اللَّـهُمَّ اجعل حبي كله لك، وسعيي كله في مرضاتك**».

وهذا الدعاء هو فسطاط خيمة الإسلام الذي قيامها به، وهو حقيقة شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأن محمَّدًا رسول الله،

والقائمون بحقيقة ذلك هم الذين هم بشهادتهم قائمون[1].

**وفي هذا الحديث**: أنَّ من يقوم الليل يحبّه الله ويرضى عنه، ومن أحبه ورضي عنه فإنه لا يعذبه، يقول ابن القيم[2]: «ولو لم يكن في محبة الله إلاَّ أنها محبة تنجي من عذابه لكان ينبغي للعبد أن لا يعوض عنها بشيء أبدًا، وسُئل بعض العلماء: أين تجد في القرآن أنَّ الحبيب لا يعذب حبيبه؟ فقال: في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾[3].

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن يونس، عن الحسن رضي الله عنه، أنَّ النبـي ﷺ قال: «والله لا يعذِّب الله حبيبه، ولكن قد يبتليه في الدنيا»[4].

**وقوله**: «والذي له امرأة حسناء وفراش لين حسن، فيقوم من الليل فيقول: يذر شهوته ويذكرني ولو شاء رقد». في هذا دليل على أنَّ إيثار لذَّة الآخرة على لذَّة الدنيا توجب محبة الله تعالى؛ لأنَّ لذَّة الدنيا فانية، أما لذَّة الآخـرة فهي باقية.

---

(١) روضة المحبين ص ٤١٩.

(٢) المصدر نفسه ص ٤١٨.

(٣) سورة المائدة: الآية ١٨.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، وصحَّحه السيوطي ٢/ ١٩٦.

ولذلك كان القائم بالليل يجد حلاوة العبادة أكثر ممن يقضي ليله في اللهو، يقول أبو سليمان الداراني رحمه الله: (أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا)[1].

وذلك لأنَّ أهل الليل طامعون في مرضاة الله تعالى وهو دائم لا يزول ولا يفنى، ولا تخفى عليه خافية مما يعلنون وما يسرون، فهم متيقِّنون أنَّ كل ما أضمرته نفوسهم أو عملته جوارحهم ولم يطلع عليه أحد سواهم، فالله عالم به وخبير بمكانهم ومناجاتهم، وقد نسوا الجسد وأقبلوا على تصفية الروح وتخليصها من الأكدار، فهاموا بنور المعرفة وثملوا من رحيق الوصول الذي كافأهم ربهم به على عباداتهم، فلا بدع أن يكونوا ألذ من أهل اللهو في لهوهم.

جاء في تهذيب الكمال للحافظ المزِّي رحمه الله[2]، في ترجمة الصحابي الجليل شمعون بن زيد بن خنافة، أبو ريحانة الأزدي، حليف الأنصار ومولى رسول الله ﷺ ما نصّه:

(عن ضمرة بن حبيب بن صهيب، عن مولى لأبي ريحانة، عن أبي ريحانة، وكان من أصحاب النبي ﷺ: أنه قفل من بعث غزا فيه، فلما انصرف أتى أهله فتعشَّى من

---

(١) شرح حديث اختصام الملأ الأعلى لابن رجب ص ٧٦.

(٢) ١٢/ ٥٦٣.

عشائه، ثم دعا بوضوء فتوضأ منه، ثم قام إلى مسجده فقرأ سورة ثم أخرى، فلم يزل ذلك مكانه كلما فرغ من سورة افتتح أخرى، حتى أذَّن المؤذِّن من السحر شدَّ عليه ثيابه فأتته امرأته فقالت: يا أبا ريحانة، قد غزوت فتعبت في غزوتك ثم قدمت، ألم يكن لي منك حظ ونصيب.

فقال: بلى والله، ما خطرت لي على بال، ولو ذكرتك لكان لك عليَّ حق.

قالت: فما الذي شغلك يا أبا ريحانة؟

قال: لم يزل يهوى قلبي في ما وصف الله في جنَّته من لباسها وأزواجها ولذَّاتها حتى سمعت المؤذِّن).

ولقد أجاد عمر بن ذر الهمذاني المرهبي أبو ذر في وصف المتهجِّدين الذين زهدوا في المتع الحسية من زوجة حسناء وفراش ليِّن... وقاموا لله سُجَّدًا وقيامًا، يقول رحمه الله:

(لما رأى العابدون الليل قد هجم عليهم ونظروا إلى أهل السآمة والغفلة قد سكنوا إلى فرشهم ورجعوا إلى ملاذهم من الضجعة والنوم، قاموا إلى الله فرحين مستبشرين بما قد وهب لهم من حسن عبادة السهر وطول التهجُّد، فاستقبلوا الليل بأبدانهم وباشروا ظلمته بصفاح وجوههم، فانقضى عنهم الليل وما انقضت لذَّتهم من التلاوة ولا ملَّت أبدانهم من طول

العبادة، فأصبح الفريقان وقد ولى عنهم الليل بربح وغبن، أصبح هؤلاء قد ملوا النوم والراحة، وأصبح هؤلاء متطلِّعين إلى مجيء الليل للعبادة، شتان ما بين الفريقين.

فاعملوا لأنفسكم رحمكم الله في هذا الليل وسواده، فإن المغبون من غبن خير الليل والنهار، والمحروم من حرم خيرهما، إنما جعلا سبيلاً للمؤمنين إلى طاعة ربهم ووبالاً على الآخرين للغفلة عن أنفسهم، فأحيوا لله أنفسكم بذكره، فإنما تحيا القلوب بذكر الله.

كم من قائم لله في هذا الليل قد اغتبط بقيامه في ظلمة حفرته، وكم من نائم في هذا الليل قد ندم على طول نومه عندما يرى من كرامة الله للعابدين غدًا، فاغتنموا ممر الساعات والليالي والأيام رحمكم الله)[1].

وقال يحيى بن أبي كثير[2]: «والله ما رجل تخلى بأهله عروسًا أقر ما كانت نفسه وأسر ما كان بأشد سرورًا منهم بمناجاته إذا خلوا به»[3].

وقال الحسن البصري: (لقد صحبت أقوامًا يبيتون لربهم

---

(١) التهجُّد، لابن أبي الدنيا ص ٣٤٠، وحلية الأولياء ٥/ ١١٤.

(٢) هو أبو نصر اليمامي، ثقة، ثبت، لكنه يدلس ويرسل (ت ١٣٢هـ). التهذيب ١١/ ٢٦٨.

(٣) التهجُّد، لابن أبي الدنيا ص ٣٤٢.

في سواد هذا الليل سجَّدًا وقيامًا، يقومون هذا الليل على أطرافهم فتسيل دموعهم على خدودهم، فمرة رُكَّعًا ومرة سُجَّدًا يناجون ربهم في فكاك رقابهم، لم يملوا كلال السهر لما قد خالط قلوبهم من حسن الرجاء في يوم المرجع، فأصبح القوم بما أصابوا من النصب لله في أبدانهم فرحين، وبما يأملون من حسن ثوابه مستبشرين، فرحم الله امرءًا نافسهم في مثل هذه الأعمال ولم يرض من نفسه لنفسه بالتقصير في أمره واليسير من فعله، فإنَّ الدنيا عن أهلها منقطعة والأعمال على أهلها مردودة، قال: ثم يبكي حتى تبتل لحيته بالدموع)[1].

(١) كتاب الزُّهد، للإمام أحمد ص ٤٠١، والمروزي في قيام الليل ص ٣٣.

## الحديث الثالث والثلاثون

عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «عجب ربنا تعالى من رجلين، رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين أهله وحبه إلى صلاته، فيقول الله جلَّ وعلا: انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حِبّه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي، وشفقة مما عندي.

ورجل غزا في سبيل الله، وانهزم أصحابه، وعلم ما عليهم من الانصراف في الانهزام وما له في الرجوع فرجع حتى يهريق دمه، فيقول الله عزَّ وجلّ لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رجاء فيما عندي وشفقة مما عندي حتى يهريق دمه».

هذا حديث حسن، رواه الإمام أحمد في مسنده[1]، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير، وإسناده حسن، وله عند الطبراني في الكبير نحوه موقوفًا، وفيه أبو عبيدة ولم يسمع من أبيه[2].

---

(١) ١/ ٤١٦.

(٢) مجمع الزوائد ٢/ ٢٥٥.

رواه ابن حبان[1]، والمنذري[2].

معنى (وطائه): فراشه. (يهريق): يسال دمه ويراق.

**وقوله: «انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حِبّه وأهله...»**، جاء في عدد من الآثار أنَّ من يكثر القيام في الليل وكان من الرجال يزوِّجه الله من الحور العين[3] تعويضًا له

---

(١) صحيح ابن حبان (٢٥٤٨)، (٢٥٤٩).

(٢) الترغيب والترهيب ١/ ٤٨٩ ــ ٤٩٠.

(٣) الحور: جمع حوراء، وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين، وقال زيد بن أسلم: الحوراء التي يحار فيها الطرف، وقال مجاهد: الحوراء التي يحار فيها الطرف من رقَّة الجلد وصفاء اللون، وقال الحسن: الحوراء شديد بياض العين شديدة سواد العين.
وجاء في كتاب «حادي الأرواح» لابن القيم ص ٢٥٩: (قول مجاهد: الحور العين التي يحار فيهن الطرف باديًا مخ سوقهن من وراء ثيابهن، ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن كالمرآة من رقَّة الجلد وصفاء اللون).
والعين: جمع عيناء، وهي: العظيمة العين من النساء، ومن محاسن المرأة اتِّساع عينها في طول.
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ: «من بات ليلة في خفة من الطعام والشراب يصلِّي تداركت حوله الحور العين حتى يصبح»، رواه الطبراني في الكبير، وفيه أصرم بن حوشب وهو متروك، قال البخاري ومسلم والنسائي: متروك، وقال الدارقطني: منكر الحديث، وقال ابن حبان: كان يضع الحديث على الثقات، وقال علي ابن المديني: كتبت عنه بهمذان وضربت على حديثه.

عن ترك الفراش الوثير والزوجة الحسناء والتعبُّد لرب الأرض والسماء.

وقد روي في ذلك العديد من الأخبار، منها ما رواه ابن أبـي الدنيا بسنده إلى مطهر السعدي[1]، وكان قد بكى شوقًا إلى الله ستين عامًا، قال: أُريت كأني على ضفة نهر يجري بالمسك الأذفر، حافَّتاه شجر ولؤلؤ ونبت من قضبان الذهب، وإذا أنا بجوار مزينات يقلن بصوت واحد: سبحان المسبَّح بكل لسان سبحانه، سبحان الموجود بكل مكان سبحانه، سبحان الدائم في كل الأزمان سبحانه.

قال: قلت: من أنتن؟ فقلن: خَلْقٌ من خلق الرحمن سبحانه، فقلت: ما تصنعن هاهنا؟ فقلن:

ذرأنـا إلـه النـاس رب محمـد ... لقوم على الأطراف بالليل قُوَّمُ

يناجون رب العالمين إلـههم ... وتسري هموم القوم والناس نُوَّمُ

قـال: قلـت: بـخ بـخ لهـؤلاء، مـن هـؤلاء، لقـد أقـرَّ الله أعينهـن بكـن؟ قـال: فقلـن: أَوَمَـا تعـرفهـن؟ قلـت: لا والله مـا أعـرفهـم، قلـن: بلـى، هـؤلاء المتهجِّـدون أصحـاب القـرآن والسهر[2].

---

(١) هو مطهر بن عبد الله السعدي، وكان من عبَّاد أهل البصرة وقرَّائهم، ما له حديث يرجع إليه، ذكره ابن حبان في الثقات ٧/ ٥٠٧.

(٢) التهجُّد وقيام الليل ص ٣٥٣ ــ ٣٥٤، وأخرجه أيضًا أبو نعيم في الحلية ٦/ ٢٤٤، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ٣/ ٢٥٦.

وكان مالك بن دينار قلَّما ينام من الليل، قال: فغلبته عينه ذات ليلة فنام عن جزئه، قال: فرأى فيما يرى النائم كأنَّ جارية وقفت عليه كأن وجهها القمر المستتم قال: ومعها رق فيه كتاب، فقالت: أتقرأ أيها الشيخ؟ قال: نعم، قالت: فاقرأ لي هذا الكتاب، قال: فأخذته من يدها ففتحته فإذا فيه مكتوب:

أألهتك لذَّة نوم عن خير عيش ... مع الخيرات في غرف الجنان
تعيش مخلدًا لا موت فيها ... وتنعم في الخيام مع الحسان
تيقَّظ من منامك إنَّ خيرًا ... من النوم التهجُّد بالقرآن

قال: فوالله ما ذكرتها قط إلاَّ ذهب عني النوم[1].

وعن عون بن أبي شداد[2]، أنَّ رجلاً كان يقوم من الليل فيحييه صلاة، ففتر عن ذلك، قال: فأتاه آت في منامه فقال: قد كنت يا فلان نديب الخطبة[3] فما الذي قصر بك عن ذلك؟ قال: وما ذاك؟ قال: كنت تقوم من الليل، أَوَمَا علمت أنَّ

---

(١) الأثر أخرجه ابن أبي الدُّنيا في التهجُّد وقيام الليل ص ٣١٧، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ٤/ ٣١٨، والغزالي في الإحياء ١/ ٢٤٠، والدمياطي في المتجر الرابح ص ١٠٢.

(٢) هو أبو معمر البصري، قال ابن معين: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الذهبي: ضعَّفه أبو داود في قول: ومشاه غيره. ميزان الاعتدال ٣/ ٣٠٦.

(٣) النديب: هو الداعي للأمر، يقال: ندب القوم إلى الأمر: دعاهم وحثّهم. (لسان العرب ١/ ٧٥٤).

المتهجِّد إذا قام إلى تهجُّده قالت الملائكة: قد قام الخاطب إلى خطبته[1].

وروى أزهر بن مغيث بن ثابت التغلبي: حدثنا أبي وكان من القوَّامين لله في سواد هذا الليل المظلم قال: رأيت في منامي امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا، فقلت: من أنت؟ قالت: حوراء أمة الله، قال: قلت: زوِّجيني نفسك، قالت: اخطبني إلى سيدي وأمهِرني، قال: قلت: وما مهرك؟ قالت: طول التهجُّد[2].

وقال عبد الواحد بن زيد البصري الزاهد: أصابتني علَّة في ساقي فكنت أتحامل عليها للصلاة، قال: فقمت عليها من الليل فأجهدت وجعًا، فجلست ثم لففت إزاري في محرابي ووضعت رأسي عليه فنمت.

فبينا أنا كذلك إذا أنا بجارية تفوق الدُّمى حُسنًا، تخطو بين جوار مزينات حتى وقفت عليَّ وهن خلفها، فقالت لبعضهن: ارفعنه ولا تَهُجنه، قال: فأقبلن نحوي فاحتملنني عن الأرض، وأنا أنظر إليهن في منامي.

ثم قالت لغيرهن من الجواري الذين معها: افرشنه

---

(١) التهجُّد وقيام الليل ص ٣٢٠.

(٢) أخرجه المروزي في قيام الليل (المختصر) ص ٩٠، والدمياطي في المتجر الرابح ص ١٠٢.

ومهِّدنه ووطِّئن له ووسِّدنه، قال: ففرشن تحتي سبع حشايا لم أر لهن في الدنيا مثلاً، ووضعن تحت رأسي مرافق حُصرًا حسانًا، ثم قالت للذين حملنني: اجعلنه على الفرش رويدًا لا تهجنه، قال: فجُعِلْتُ على تلك الفرش وأنا أنظر إليها وما تأمر به من شأني، ثم قالت: احففنه بالريحان، قال: فأُتي بياسمين فحفَّت به الفرش.

ثم قامت إلي فوضعت يدها على موضع علَّتي التي كنت أجد في ساقي، فمسحت ذلك المكان بيدها ثم قالت: قم شفاك الله إلى صلاتك غير مضرور.

قال: فاستيقظت والله وكأني قد أنشطت من عقال، فما اشتكيت تلك العلَّة بعد ليلتي تلك ولا ذهب حلاوة منطقها من قلبي «قُم شفاك الله إلى صلاتك غير مضرور»[1].

وإسناده فيه حبان الأسود لم أجد له ترجمة، وعبد الواحد بن زيد قال البخاري: تركوه، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: (يعتبر بحديثه إذا كان دونه أو فوقه ثقات، ويتجنب ما كان من حديثه من رواية سعيد بن عبد الله بن دينار، فإنَّ سعيدًا يأتي بما لا أصل له عن الأثبات).

---

(١) ذكره ابن أبي الدُّنيا في التهجُّد وقيام الليل ص ٣٢١، وأبو نعيم في الحلية ٦/ ١٦١، وابن الجوزي في صفة الصفوة ٣/ ٢١٨.

وعن هرِم بن حيان العبدي[1] قال: قمت من الليل فقرأت ثلثًا من الحواميم، ثم غُلبت فنمت، فإذا أنا في منامي بجوار أربع قد وقفن علي مزينات فقلن: يا هرم بن حيان، ما كنت خليقًا أن تفرق بيننا وبين أخواتنا، قلت: ومن أنتن؟ قلن: نحن الأربع البواقي من الحواميم اللواتي لم تقرأنا، قال: فاستيقظت فزعًا[2].

وروى محمد بن كعب القرظي أنَّ رجلاً رأى في المنام سبع جوار مزينات فقال: ما أحسنكن، لمن أنتن؟ فقلن: إن شئت فنحن لك فاقرأنا، قلت: ومن أنتن؟ قلن: نحن الحواميم[3].

وقال ابن رجب الحنبلي: «وممَّا يجزى به المتهجِّد في الليل كثرة الأزواج من الحور العين في الجنة، فإنَّ المتهجِّد قد ترك لذَّة النوم بالليل ولذة التمتع بأزواجه طلبًا لما عند الله عَزَّ وجَلّ، فعوَّضه الله تعالى خيرًا مما تركه، وهو الحور العين في الجنة، ومن هنا قال بعضهم: طول التهجُّد مهور الحور العين في الجنة[4].

---

(١) هو أحد العابدين، حدَّث عن عمر، روى عنه الحسن البصري وغيره، قال ابن سعد: كان عاملاً لعمر، وكان ثقة، له فضل وعبادة، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: مات في غزوة له ولا يُعلم وقته. (الطبقات الكبرى ٧/ ١٣١، والثقات ٥/ ٥١٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٨١).

(٢) التهجُّد وقيام الليل ص ٣٢٤.

(٣) المصدر نفسه ص ٣٢٤.

(٤) شرح حديث اختصام الملأ الأعلى ص ٧٥.

قام بعض المتهجِّدين ذات ليلة فرأى في منامه حوراء تنشد:

أتخطب مثلي وعني تنام ... ونوم المحبين عنا حرام
لأنَّا خلقنا لكل امرىء ... كثير الصلاة براه الصيام

وكان بعض الصالحين ربما نام في تهجُّده فتوقظه الحوراء في منامه فيستيقظ بإيقاظها.

وروي عن أبي سليمان الداراني أنه قال: ذهب بي النوم ذات ليلة في صلاتي، فإذا بها ــ يعني الحوراء ــ تنبِّهني وتقول: يا أبا سليمان، أترقد وأنا أُرَبَّى لك في الخدر منذ خمس مئة سنة؟.

وفي رواية أنه نام في سجوده قال: فإذا بها قد ركضتني برجلها وقالت: حبيبي، أترقد عيناك والملك يقظان ينظر إلى المتهجِّدين في تهجُّدهم؟ بؤسًا لعين آثرت لذَّة نوم على مناجاة العزيز، قم فقد دنا الفراغ ولقي المحبون بعضهم بعضًا، فما هذا الرقاد يا حبيبي وقرَّة عيني؟ أترقد عيناك وأنا أُرَبَّى لك في الخدور منذ خمس مئة عام؟

فوثب فزعًا وقد عرف من توبيخها له، قال: وإنَّ حلاوة منطقها لفي سمعي وقلبي[1].

(١) شرح حديث اختصام الملأ الأعلى ص ٧٦.

# الحديث الرابع والثلاثون

**عن سهل بن سعد رضي الله عنهما قال: «جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس».**

رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن[1]، وفيه زافر بن سليمان الإيادي تُكُلِّم فيه، ووثقه آخرون. قال عباس الدوري عن يحيى بن معين[2]: ثقة، وقال البخاري[3]: عنده مراسيل ووهم، وقال أبو داود: ثقة، كان رجلاً صالحًا[4]، وقال النسائي: عنده حديث منكر عن مالك[5]، وقال في موضع آخر: ليس بذاك القوي.

وقال أبو أحمد ابن عدي: كانت أحاديثه مقلوبة الإسناد،

---

(١) الترغيب والترهيب ١/ ٤٨٥.

(٢) تاريخه ٢/ ١٧٠.

(٣) الضعفاء الصغير، الترجمة (١٣٩).

(٤) تاريخ بغداد ٨/ ٤٩٤.

(٥) الضعفاء والمتروكون، الترجمة (٢١٤).

مقلوبة المتن، وعامة ما يرويه لا يتابع عليه، ويكتب حديثه مع ضعفه[1].

وقال ابن حبان: (يروي عن شعبة ومالك، كثير الغلط في الأخبار، واسع الوهم في الآثار على صدق فيه، والذي عندي في أمره الاعتبار بروايته التي يوافق فيها الثقات، وتنكُّب ما انفرد به من الروايات»[2].

وقال أبو حاتم: محله الصدق[3].

وخرَّج الحاكم حديثه في المستدرك، وقال في تاريخ نيسابور: روى عن الأعمش وعن داود بن نصير الطائي وحمزة الخدري، روى عنه يحيى بن يحيى ونصر بن زياد القاضي ويزيد بن صالح أبو خالد النواء.

وذكره الذهبي في الطبقة التاسعة عشرة من تاريخ الإسلام بين (١٨١ ــ ١٩٠)، وقال ابن حجر: صدوق كثير الأوهام[4].

**وفي هذا الحديث**: أنَّ من فضائل قيام الليل أنه يشرف به الوضيع، ويعزّ به الذَّليل.

---

(١) الكامل ١/ ٣٧٧.

(٢) المجروحين ١/ ٣١٥.

(٣) الجرح والتعديل ٣/ الترجمة (٢٨٢٥).

(٤) تهذيب التهذيب ٣/ ٣٠٤.

وقد روى ابن أبـي الدنيا عن يحيـى بن كثير قال: قال وهب بن منبه: (قيام الليل يشرف به الوضيع ويعز به الذليل، وصيام النهار يقطع عن صاحبه الشهوات، وليس للمؤمن راحة دون دخول الجنة)[1].

وعن الحسن البصري قال: (قيام الليل شرف المؤمنين، وعزّهم الاستغناء عمَّا في أيدي الناس)[2].

ويقـول عبـد الـرؤوف المُنـاوي: (الشـرف لغـةً: العلـوّ، وشرف كل شيء أعلاه؛ لما وقف في ليله وقت صفاء ذكره متذللاً متخشّعًا بين يدي مولاه لائذًا بعزّ جنابه وحماه، شرفه بخدمته ورفع قدره عند ملائكته وخواص عباده بعزّ طاعته على من سواه.

**وقوله: (عزّه استغناؤه عمَّا في أيدي الناس)**: يعني عدم طمعه فيما في أيديهم، فإنه لما أنزل فقره وفاقته برَبّ الناس أعزه وأغناه بغناه)[3].

(١) التهجُّد وقيام الليل ص ١٣٢.
(٢) التهجُّد لابن أبـي الدنيا ص ١٢٤.
(٣) فيض القدير ٤/ ١٦٠.

# الحديث الخامس والثلاثون

**عن عبد الله بن سلام قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه، وقيل: قدم رسول الله ﷺ، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استبنت وجه رسول الله ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، وكان أول شيء تكلم به أن قال: «يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام، تدخلون الجنة بسلام».**

رواه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح[1].

كما أخرجه ابن ماجه[2]، وأحمد[3]، والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين[4]، كما أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب[5].

---

(١) جامع الترمذي ٤/ ٢٦٤ (ح ٢٤٨٥)، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، وانظر: صحيح الترمذي للعلاَّمة الألباني (٢٠١٩)، وإرواء الغليل له (٧٧٧).

(٢) سنن ابن ماجه ١/ ١٣٣٤.

(٣) المسند ٥/ ٤٥١.

(٤) المستدرك ٣/ ١٣، ٤/ ١٦٠.

(٥) ١/ ٤٧٦.

ومعنى (**انجفل**): أي أسرعوا ومضوا كلهم.

(**استبنت**): أي تحققته.

ولقد تقدَّم الكلام على معانيه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، فانظره هناك.

## الحديث السادس والثلاثون

**عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال في قوله: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾، قال: قيام الليل.**

هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند، وابن جرير الطبري في كتاب التفسير، كلاهما من طريق حمَّاد بن سلمة به، وذكره السيوطي في الدر المنثور ونسبه إلى ابن مردويه. وأخرجه ابن أبي الدنيا في التهجُّد وقيام الليل[1]، وإسناده ضعيف، فقد رواه أسد بن موسى وهو صدوق له أوهام، عن شهر بن حوشب وهو كثير الإرسال والأوهام.

قال القرطبي[2] في قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾[3]، أي: ترتفع وتنبو عن مواضع الاضطجاع، وهو في موضع نصب على الحال، أي متجافية جنوبهم، والمضاجع: جمع مضجع، وهي مواضع النوم.

ويحتمل عن وقت الاضطجاع، ولكنه مجاز، والحقيقة أولى.

---

(١) ص ٣١٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٩٩.

(٣) سورة السجدة: الآية ١٦.

قول عبد الله بن رواحة:

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الصبح ساطع
ببيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

قال الزجاج والرماني: التجافي: التنحّي إلى جهة فوق، وكذلك هو في الصفح عن المخطىء في سب ونحوه.

والجُنُوب: جمع جنب.

وقد فسَّر النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ ﴾ بقيام الليل، ثم ذكر تعالى ثواب ما أعدَّه لمن تتجافى جنوبهم عن المضاجع، فقال: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[1]، والمعنى المراد: أنه أخبر تعالى بما لهم من النعيم الذي لم تعلمه نفس ولا بشر ولا ملَك.

يقول القرطبي: «وهذه الكرامة إنما هي لأعلى أهل الجنة منزلاً، كما جاء مبينًا في صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة يرفعه إلى رسول الله ﷺ قال: «سأل موسى عليه السلام ربه، فقال: يا رب، ما أدنى أهل الجنة منزلةً؟

قال: هو رجل يأتي بعدما يدخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب، كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم، فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك مَلك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك

(١) سورة السجدة: الآية ١٧.

ذلك ومثله ومثله معه ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقال: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذَّت عينك، فيقول: رضيت رب.

قال: رب فأعلاهم منزلة؟

قال: أولئك الذين أردت، غرستُ كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر، قال: ومصداقه من كتاب الله قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

# الحديث السابع والثلاثون

**عن أنس رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي تعدل بعشرة آلاف صلاة، وصلاة في المسجد الحرام تعدل بمئة ألف صلاة، والصلاة بأرض الرباط تعدل بألفي صلاة، وأكثر من ذلك كله الركعتان يصليهما العبد في جوف الليل لا يريد بهما إلاَّ ما عند الله عزَّ وجلّ».**

حديث ضعيف، رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب[1]، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد[2] بروايات كثيرة من طرق متعددة بنحو الحديث المذكور، كذلك السمهودي في وفاء الوفا[3]، وخرَّجه أيضًا الدمياطي[4]، والمنذري[5].

والرباط: المكان الذي يرابط فيه المجاهدون حماية للثغور وحدود البلاد المجاورة للأعداء.

---

(١) لم يُطبع بعد.

(٢) ٤/ ٤ ــ ٨.

(٣) ص ٤١٦ ــ ٤٢١.

(٤) المتجر الرابح ص ٩٥.

(٥) الترغيب والترهيب ١/ ٤٨٤.

## الحديث الثامن والثلاثون

**عن فضالة بن عبيد وتميم الداري رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «من قرأ عشر آيات في ليلة كتب له قنطار، والقنطار خير من الدنيا وما عليها، فإذا كان يوم القيامة يقول ربك عز وجل له، اقرأ وارق لكل آية درجة حتى ينتهي إلى آخر آية معه، يقول الله عزَّ وجلّ للعبد: اقبض، فيقول العبد بيده: يا رب، أنت أعلم، فيقول: بهذه الخلد وبهذه النعيم».**

هذا الحديث أخرجه الطبراني بإسناد حسن وفيه إسماعيل بن عياش. قال الفسوي: تكلم قوم في إسماعيل، وهو ثقة عدل، أعلم الناس بحديث الشام، أكثر ما تكلموا فيه قالوا: يُغرب عن ثقات الحجازيين. وقال دحيم: هو في الشاميين غاية، وخلط عن المدنيين. وقال البخاري: إذا حدث عن أهل بلده فصحيح، وإذا حدث عن غيرهم ففيه نظر. وقال النسائي: ضعيف. وقال ابن حبان: كثير الخطأ في حديثه، فخرج عن حد الاحتجاج به.

والقول ما قاله شيخ البخاري الإمام علي بن المديني: ما كان أحد أعلم بحديث أهل الشام من إسماعيل بن عياش،

لو ثبت على حديث أهل الشام، ولكنه خلط في حديثه عن أهل العراق.

قال أبو اليمان: كان منزله إلى جنب منزلي، فكان يحيي الليل، وربما قرأ ثم قطع، قال: فسألته يومًا فقال: وما سؤالك؟ قلت: أريد أن أعرف، قال: إني أصلي فأقرأ، فأذكر الحديث في الباب من الأبواب التي أخرجتها، فأقطع الصلاة فأكتبه ثم أرجع إلى صلاتي[1].

**وأفاد هذا الحديث** ما هيَّأه الله تعالى للمتهجِّدين من رفع الدرجات في الجنة، ويشهد له حديث ثوبان الذي أخرجه مسلم في صحيحه[2]، قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد سجد لله سجدة إلاَّ رفعه الله بها درجة وحطَّ عنه بها خطيئة».

(١) تهذيب الكمال ١/ ١٠٦، ميزان الاعتدال ١/ ٤٠٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة ــ باب: فضل السجود والحث عليه ص ٣٥٣.

## الحديث التاسع والثلاثون

**عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعن صلاة الليل ولو حلب شاة».**

رواه الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد[1].

وقال الهيثمي: وفيه بقية بن الوليد، وفيه كلام كثير، وهو حديث ضعيف[2].

وقد ورد من طرق أخرى، منها:

حديث ابن عباس بلفظ: تذكرت قيام الليل، فقال بعضهم: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «نصفه، ثلثه، ربعه، فواق حلب ناقة، فواق حلب شاه». رواه أبو يعلى في مسنده من طريق مخرمة بن بكير عن أبيه، عن ابن عباس به.

وهذا إسناد منقطع، فإنَّ بكيرًا وهو ابن عبد الله الأشج، ثقة، إلاَّ أنه لم يذكر أنه روى عن ابن عباس، قال الحاكم: لم يثبت سماعه من عبد الله بن الحارث بن جزء، وإنما روايته عن

---

(١) ٢/ ٢٥٢.

(٢) ضعَّفه الشيخ الألباني كما في ضعيف الجامع ٦/ ٣٦.

التابعين[1]، وكذلك فإنَّ رواية ابنه عنه وجادة، ولم يسمع منه إلاَّ قليلاً.

ورُوي من حديث جندب بن سفيان بلفظ (قال: قال رسول الله ﷺ: «نصفه، ثلثه، ربعه، فواق حلب ناقة، فواق حلب شاة» ).

قال الهيثمي في مجمع الزوائد[2]: رواه الدارقطني ولم أجده في السنن.

كما رُوي هذا الحديث مرسلاً من طريق قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا بدَّ من قيام الليل ولو قدر حلب شاة».

ومن حديث إياس بن معاوية المزني بلفظ: «لا بدَّ من صلاة الليل ولو حلب ناقة ولو حلب شاة، وما كان بعد صلاة العشاء الآخر فهو من الليل»، أخرجه ابن أبي الدنيا[3]، والطبراني[4]، وأبو نعيم[5]، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد[6]، وقال: فيه محمد بن إسحاق وهو مدلِّس، وبقية رجاله ثقات.

---

(١) التهذيب ١/ ٤٩٣.

(٢) ٢/ ٢٥٢.

(٣) التهجُّد وقيام الليل ص ٢٠٨.

(٤) المعجم الكبير ١/ ٢٧١.

(٥) معرفة الصحابة ٢/ ٣٢٠.

(٦) ٢/ ٢٥٢.

وذكره المنذري[1] وقال: رواته ثقات إلاَّ محمد ابن إسحاق، والحديث مرسل، فإنَّ إيَّاس بن معاوية تابعي.

قال ابن حجر: وقد وهم من جعله صحابيًّا، وإنما هو تابعي صغير مشهور بذلك، وهو إياس القاضي المشهور بالذكاء[2]، فيرتقي الحديث بمجموع هذه الطرق إلى الحسن لغيره.

(١) الترغيب والترهيب ١/ ٤٣٠.

(٢) الإصابة ١/ ١٣٥.

# الحديث الأربعون

**عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية.**

هذا الحديث موقوف، ورواه مرفوعًا ابن المبارك في الزُّهد[1]، والطبراني في الكبير[2]، وقال الهيثمي: رجاله ثقات[3]، وقال المنذري: سنده حسن[4].

وممن رواه موقوفًا على ابن مسعود[5]: عبد الرزاق في المصنف في كتاب الصلاة ـ باب: الصلاة من الليل[6]، وابن أبي شيبة في المصنف في كتاب الصلاة ـ باب: من كان يأمر بقيام الليل[7]، والبيهقي في السنن الكبرى في كتاب الصلاة ـ باب: الترغيب في قيام

---

(١) ص ٩.

(٢) ١٠/ ٢٢١.

(٣) مجمع الزوائد ٢/ ٢٥١.

(٤) الترغيب والترهيب ١/ ٤٢٩.

(٥) التهجُّد وقيام الليل ص ١١٨.

(٦) ٣/ ٤٧.

(٧) ٢/ ٧٢.

الليل[1]، ورواه أبو نعيم[2] موقوفًا ومرفوعًا وقال: رواه منصور بن المعتمر والثوري، ومثله عن زبيد موقوفًا، وتفرَّد مخلد بن يزيد عن الثوري برفعه.

وذكره الحافظ ابن حجر في التقريب وقال: صدوق له أوهام، من كبار التاسعة ولكن قد خالفه الثقات فجعلوه موقوفًا[3].

ولذلك قال ابن رجب الحنبلي: أخرجه أبو نعيم عنه مرفوعًا، والموقوف أصح[4].

وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان[5] من طريق مخلد بن يزيد به مرفوعًا، ثم قال: قال أبو يعلى: لم يرفعه غير مخلد بن يزيد وأخطأ فيه، والصحيح موقوف.

وذكره الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير[6].

ويقول عبد الرؤوف المناوي في معنى الحديث: ويؤخذ من القياس أنَّ من أراد الاقتداء به وتعليم غيره فصلاة النهار في حقّه بذلك القصد أفضل[7].

---

(١) ٢/ ٥٠٢.

(٢) الحلية ٤/ ١٦٧.

(٣) التقريب ص ٥٢٤.

(٤) جامع العلوم والحِكَم ص ٢٧١.

(٥) ٣/ ١٣٠.

(٦) ٤/ ٩٣.

(٧) فيض القدير ٤/ ٤٣٦.

# الحديث الحادي والأربعون

**عن حسان بن عطية قال: قال رسول الله ﷺ: «ركعتان يركعها العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها، ولولا أن أشق على أمتي لفرضتها عليهم».**

هذا الحديث إسناده مرسل ورجاله ثقات، ونقل المناوي عن الحافظ العراقي قال: ووصله الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر ولا يصح[(١)]، وحسان بن عطية هو أبو بكر الدمشقي ثقة فقيه عابد، مات بعد العشرين ومئة[(٢)].

وأخرج هذا الحديث ابن المبارك في كتاب الزهد[(٣)]، والمروزي في قيام الليل[(٤)]، وابن أبـي الدنيا[(٥)].

وذكره السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالضعف[(٦)]،

---

(١) فيض القدير ٤/ ٣٩.

(٢) تهذيب التهذيب ٢/ ٢٥١، والتقريب ص ١٥٨.

(٣) ص ٤٥٦ (ح رقم ١٢٨٩).

(٤) ص ٨٠.

(٥) التهجُّد وقيام الليل ص ٣٥٥ (ح رقم ٢٩٤).

(٦) وذكره أيضًا الألباني في ضعيف الجامع الصغير ٣/ ١٨٩.

**وقوله**: «**خير له من الدنيا وما فيها**»، يقول عبد الرؤوف المناوي: (من النعيم لو فرض أنه حصل له وحده وتنعَّم به وحده)[1].

**وقوله**: «**لفرضتها عليهم**»، أي: أوجبتهما، وهذا صريح في عدم وجوب التهجُّد على الأمة.

(١) فيض القدير ٤/ ٣٩.

## الحديث الثاني والأربعون

**عن أسماء بنت يزيد[1] رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة نادى مناد: ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع، فيقومون وهم قليل، ثم يحاسب سائر الناس».**

هذا الحديث أخرجه المروزي في قيام الليل[2]، وابن أبي الدنيا[3]، والبيهقي في شعب الإيمان[4]، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب[5].

وهو حديث ضعيف، روي من طريق عبد الرحمن ابن إسحاق الواسطي، ضعَّفه علماء الجرح والتعديل، قال أحمد بن حنبل: ليس بشيء، منكر الحديث، وقال البخاري: فيه نظر.

---

(١) هي أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية أم سلمة، ويقال: أم عامر، صحابية لها أحاديث. (الإصابة ٤/ ٢٣٤).

(٢) ص ٢٣.

(٣) التهجُّد وقيام الليل ص ٣٩١.

(٤) ٣/ ١٦٩.

(٥) ١/ ٤٧٩.

وقال النسائي وغيره: ضعيف، وقال الذهبي: له مناكير[1].

أما قول الإمام أحمد بن حنبل فيه: منكر الحديث.

فإنَّ هذا الاصطلاح كثيرًا ما يطلقونه على الموضوع، يشيرون بذلك إلى نكارة معناه مع ضعف إسناده وبطلان ثبوته[2]، ولكن كثيرًا ما يطلقون النكارة على مجرَّد التفرُّد كما هو الشأن في هذا الحديث، ولا يقصدون بأنه موضوع.

قال الزين العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين: كثيرًا ما يطلقون المنكر على الراوي؛ لكونه روى حديثًا واحدًا[3].

ومعنى منكر الحديث عن الإمام أحمد كما قال الحافظ ابن حجر: (هذه اللفظة وإن يطلقها أحمد على من يغرب على أقرانه بالحديث ــ أي يتفرَّد وإن لم يخالف ــ عرف ذلك بالاستقراء من حاله)[4].

---

(١) ميزان الاعتدال ٤/ ٢٦٠.

(٢) انظر تفصيل ذلك عند تعليق الشيخ عبد الفتَّاح أبي غدَّة، رحمه الله، على كتاب: «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» لعلي القاري ص ٢٠.

(٣) أفاد السخاوي في فتح المغيث ص ١٦٢: أنَّ كلام العراقي هذا قاله في تخريجه الكبير للإحياء، وهو ما يزال مخطوطًا.

(٤) هدي الساري ص ١٧٣.

وقال عبد الحي اللكنوي: (المنكر أطلقه أحمد بن حنبل وجماعة على الحديث الفرد الذي لا متابع له، فيحمل هذا على ذلك)[1].

وعلى هذا الأساس فإنَّ الحديث الذي تفرَّد به عبد الرحمن أبو شيبة الواسطي حديث ضعيف وليس بموضوع.

(١) الرفع والتكميل ص ٢٠٢.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

# المحتوى


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| * المقدمة | ٥ |
| * الفصل الأول: نظرة عامة في كتب الأربعين حديثًا | ١٧ |
| ـ تمهيد | ١٧ |
| ـ أسباب تأليف الأربعينات | ١٨ |
| ـ أشهر كتب الأربعين حديثًا | ٢٠ |
| * الفصل الثاني: دراسة موجزة عن التهجُّد | ٣٨ |
| ١ ـ تعريف التهجُّد لغةً واصطلاحًا | ٣٨ |
| ٢ ـ حكم التهجد | ٤٠ |
| ٣ ـ المؤلفات في التهجُّد | ٤٥ |
| * الفصل الثالث: ذكر الأربعين حديثًا في التهجُّد | ٤٧ |
| الحديث الأول | ٤٩ |
| الحديث الثاني | ٥١ |
| الحديث الثالث | ٥٦ |
| الحديث الرابع | ٦٠ |
| الحديث الخامس | ٦٣ |
| الحديث السادس | ٦٧ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|


الحديث السابع ..... ٦٩
الحديث الثامن ..... ٧٦
الحديث التاسع ..... ٧٩
الحديث العاشر ..... ٨١
الحديث الحادي عشر ..... ٨٩
الحديث الثاني عشر ..... ٩٣
الحديث الثالث عشر ..... ٩٥
الحديث الرابع عشر ..... ٩٧
الحديث الخامس عشر ..... ١٠٦
الحديث السادس عشر ..... ١١٢
الحديث السابع عشر ..... ١١٥
الحديث الثامن عشر ..... ١١٦
ذكر نماذج من المتهجدين حتى تتفطر
أقدامهم ..... ١٢٠
الحديث التاسع عشر ..... ١٣٠
الحديث العشرون ..... ١٣١
الحديث الحادي والعشرون ..... ١٣٢
الحديث الثاني والعشرون ..... ١٣٥
الحديث الثالث والعشرون ..... ١٣٦
الحديث الرابع والعشرون ..... ١٣٧

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|


الحديث الخامس والعشرون ..... ١٤٣
الحديث السادس والعشرون ..... ١٥٤
الحديث السابع والعشرون ..... ١٥٦
الحديث الثامن والعشرون ..... ١٦١
الحديث التاسع والعشرون ..... ١٦٣
الحديث الثلاثون ..... ١٦٧
الحديث الحادي والثلاثون ..... ١٧٢
الحديث الثاني والثلاثون ..... ١٧٧
الحديث الثالث والثلاثون ..... ١٨٥
الحديث الرابع والثلاثون ..... ١٩٣
الحديث الخامس والثلاثون ..... ١٩٦
الحديث السادس والثلاثون ..... ١٩٨
الحديث السابع والثلاثون ..... ٢٠١
الحديث الثامن والثلاثون ..... ٢٠٢
الحديث التاسع والثلاثون ..... ٢٠٤
الحديث الأربعون ..... ٢٠٧
الحديث الحادي والأربعون ..... ٢٠٩
الحديث الثاني والأربعون ..... ٢١١


• • •

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

# هَذَا الكِتَابُ

إنَّ في الليل لحظات يشعر فيها الإنسان المؤمن بالأمان والاطمئنان وانشراح الصدر بذكر الخالق، بالتسبيح والتهليل والاستغفار، فالتهجُّد بالليل يضفي على النفس والسلوك توازنهما...

وبالرغم من المزايا العظيمة التي يتميَّز بها هذا الموضوع لم أجد مَن قام بجمع أربعين حديثًا في التهجُّد من الأئمة الحفَّاظ المتقدِّمين على كثرة مؤلَّفاتهم في الأربعينات، وذلك من خلال تتبُّعي لكتب الفهارس والأثبات.

فاستخرتُ الله تعالى وحمدته على توفيقه وشرعت في جمع أربعين حديثًا في التهجُّد رجاء الدخول في دعاء رسول الله ﷺ: «نضَّر الله امرءًا سمع مقالتي، فحفظها ووعاها وأدّاها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»، واقتداءً بالسَّلف الصالح جزاهم الله خيرًا في جمع الأحاديث النبوية في جزء يسهل حفظه وفهمه.

المؤلف